٢٧٣

HARLEQUIN

روايات احلام

طيف بلا اسم

بيني جوردان

www.elromancia.com
مرمورية

طيف بلا اسم

لم تصدق آني ادعاء دومنيك كارلايل.. فكيف يمكن أن يكون زوجها؟ ولماذا خرجت من حياته؟ ولِمَ نسيت كل شيء عن زواجهما؟.

حتى تعود ذاكرتها إليها، أصر دومنيك عليها أن تنتقل للعيش معه، ووجدت آني نفسها مجبرة على قول نعم... فأحلامها يسكنها رجل واحد دائماً.. رجل يشبه دومنيك كل الشبه!.

www.rewity.com مرمودية

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٦ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عُمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-110-5

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Back in the Marriage Bed
First published in Great Britain 2000
Harlequin Mills & Boon Limited
© Penny Jordan 2000
Translation © Dar El-Farasha - 2002
ISBN 9953 - 15 - 110 - 5

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ هاتف/فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

١ ـ رغبة دفينة

وقفت آني أمام سلم منزلها ذي الطراز الڤيكتوري، وابتسامة ناعمة عذبة تداعب فمها، ونظرة حالمة تبدّد الصفاء المعتاد لعينيها الرماديتين الواسعتين. لقد عاودها الحلم مرة أخرى تلك الليلة.. ذلك الحلم الذي «يجسد» فتى أحلامها. ليلة أمس، كان الحلم حقيقياً بحيث...

احمرت وجنتاها تفضحان سرها، وانخفضت رموشها بحياء لتخفي التعبير الذي يمكن لعينيها أن تُفصحا عنه على غفلة منها، واستطاعت آني أن تشعر بالتوتر بسبب النيران التي اشتعلت في أوصالها. فليلة أمس، حين أمسك بها، وعانقها بشراسة.. وبسرعة المذنب، سارعت تصعد ما تبقى من السلم.

لديها ساعة لتستعد قبل أن تترك منزلها لتأخذ هيلينا وزوجها.. فهم سيخرجون معاً لتناول العشاء.. وهذا ما يجب أن تفكر به وليس برجل مستحيل، اخترعته مخيلتها.. لحاجتها الخاصة.

زاد عبوسها قليلاً.. فهي في الثالثة والعشرين ولم تحظ «بحبيب»، لذا فمن الطبيعي أن تحلم برجل، حددت فكرياً أنه رفيق روحها، أي نصفها الآخر.. فهل هذا دليل على حياتها

الخالية من الحب، أو مجرد دليل على قوة مخيلتها؟ لم تكن آني تعرف الجواب ولكن منذ بدأت تحلم به، ما من رجل حقيقي استطاع أن يضاهيه أو أن يلامس مشاعرها.

كانت تتطلع بشوق إلى الأمسية القادمة. فهيلينا ليست مجرد أقرب صديقة لها.. ورمز للأم لها، فهي كذلك، المرأة، المسؤولة عن إنقاذ حياتها.. لا.. وصححت آني لنفسها بسرعة.. فهيلينا أعادتها إلى الحياة بعد أن قال أطباء آخرون، أقل تصميماً وجرأة إنها... وابتلعت آني ريقها بتوتر.. فهي حتى الآن، وبعد مرور خمس سنوات على الحادثة، التي كادت تودي بحياتها، كانت ترتعب لمجرد الذكرى. كم كانت قريبة من الموت!

إنها لا تتذكر الوقائع التي حصلت قبل الحادثة ذاتها، أو الأسابيع التي كانت فيها مصابة بالغيبوبة، كم كان من السهل أن تموت!

كانت حركة ذراعها بطيئة وهي تدفع باب غرفة نومها، هذا هو الأثر الجسدي الوحيد المتبقي من الحادثة بسبب تضرُّر ذراعها، حتى أن كبير جراحي قسم الطوارىء كان على وشك أن يأمر بتحضيرها لجراحة بتر بينما الممرضات يسرعن بها إلى قسم الطوارىء. لكن صدف أن وصلت هيلينا لزيارة مريض، ومرت عبر القسم، فاستدعاها لأخذ رأي آخر.

ونظراً لكون هيلينا رئيسة قسم الجراحات الدقيقة، تولت بدورها الأمر فوراً، مقررة إنقاذ ذراع آني.

كان وجهها أول ما شاهدته آني حين استعادت وعيها. ومرت

أسابيع كثيرة قبل أن تعلم من إحدى الممرضات كم كانت محظوظة بوجود هيلينا في المستشفى حين أدخلت هي إليه.

كما أن هيلينا أمضت ساعات إلى جانبها تتحدث إليها وهي مستلقية غائبة عن الوعي.. بفضل إرادتها وحبها عادت إلى عالم الأحياء وتعلم آني أنها لن تتوقف أبداً عن مدح ما فعلته لأجلها.

كانت هيلينا تردد ممازحة: «أنت لم تكسبي لوحدك، ليس لديك فكرة عما فعلته بسمعتي المهنية منذ أن أصبح معروفاً أن مهارتي الجراحية أنقذت ذراعك. ذراعك تساوي وزنها ذهباً يا آني..».

ويلين وجهها، مضيفة بحنان أكبر: «أنت.. مميزة لي أكثر مما أستطيع أن أجد الكلمات لأصفه.. أنت الابنة التي لم أفكر يوماً أن يرزقني الله بها...».

وبكت كلاهما في أول مرة أظهرت فيه هيلينا هذا الحب. للكلمات وقع خاص عليها.. فهيلينا فقدت رحمها وبالتالي أية فرصة للإنجاب، في سن مبكر جداً، أما آني الفتاة التي هجرت كطفلة، ثم كبرت في ملجأ أيتام، فلم تتلقَ الحب كما تحب وتشتاق.

منذ سنتين، حين قبلت هيلينا أخيراً طلب الزواج من شريكها القديم بوب ليڤر، كانت سعادة آني لا توصف.

في السابق، كانت هيلينا ترفض الزواج من بوب، مدعية أنه قد يلتقي يوماً بامرأة تحمل له طفلاً. وحين يأتي ذلك اليوم تريده أن يكون حراً في الالتزام بها.. ولزم جهد مشترك من آني وبوب لإقناعها بالعكس.

في النهاية، كان تذكير آني لها بأنها تبنتها، ولو بشكل غير رسمي، الحجة التي لاقت صدى طيباً وأفحمت هيلينا التي ردّت بسرور: «حسن جداً.. أقبل».

وانتظرت حتى احتفلوا بالقبول قبل أن تضيف، مؤنبة: «بالطبع، تعرفين ما يعني هذا.. أليس كذلك آني؟ فبوصفي «أمك» سرعان ما سأحثك على أن تجدي لنفسك «زوجاً» وتنجبي لي بعض الأحفاد».

وبعد الاسترخاء من عشاء عيد الميلاد الذي حضرتاه معاً تمكنت آني من إخبار هيلينا بالمنامات الغريبة التي تحلمها.

وسألت هيلينا باهتمام جدي: «ومتى بدأت أول مرة؟».

ردت آني، تهز رأسها لارتباكها: «لست.. واثقة.. أعتقد أنني كنت أحلم بها لفترة سابقة، قبل أن أعرف. أترين.. حين أدركت أنني أحلم هكذا بدت الأحلام مألوفة، وكأنه كان جزءاً من حياتي دائماً.. وكأنني.. بطريقة ما.. أعرفه..».

وتوقفت عن الكلام، لتقطب وتهز رأسها محاولة إيجاد الكلمات الصحيحة لتصف مشاعرها المعقدة ولإخبار صديقتها عن الرجل الذي تتصوره.

واتجهت إلى خزانة ملابسها لتأخذ الفستان الجديد الذي اشترته مع هيلينا خصيصاً للمناسبة، فلمحت صورتها في المرآة وابتسمت مجدداً. لقد كانت محظوظة جداً كون وجهها لم يتضرر في الحادثة.. إذ لا يزال يبدو جميلاً كما كان في صور طفولتها. ما زال شعرها أشقر كما ورثته من أبويها، إضافة إلى بنيتها

الأساسية، فالنضوج والثقة بالذات التي اكتسبتها جعلتها تحجم عن الاستفسار عن هوية والديها إذ يكفي أنهما أعطياها أثمن هبة في العالم.. هبة الحياة. كل ما تعرفه عن الحادثة، ما قيل لها خلال المحاكمة التي حُكم فيها على السائق نتيجة صدمها في مكان عبور قانوني، واضطرت شركة تأمينه أن تدفع مبلغاً كبيراً لها.

كانت آني تعرف أن هناك أشخاصاً كانوا يستخفون بعطب ذراعها اليمنى التي عانت من الشلل نحو سنة، هذا ما فكر به فريق المحققين في شركة التأمين وكانت آني أول المؤيدين لأن المكسب الذي جنته ليس من شركة التأمين، بل بسبب دخول هيلينا وبوب إلى حياتها.

وكما أشار محامو شركة التأمين بسرعة، فإن إصابتها لم تمنعها من الحصول على الدرجة الجامعية التي كانت على وشك تحصيلها حين وقوع الحادثة ولا حالت دونها والحصول على عمل. لكنها في الواقع، لم تكن قادرة على العمل لوقت طويل وهي الآن تشارك العمل مع فتاة أخرى.

بذل محامو الدفاع جهدهم، لكن الأدلة كانت قاطعة. فهناك خمسة شهود رأوا السيارة التي اجتازت رصيف المشاة، لتصدم آني.. كان السائق ثملاً.. بسبب ظروف معينة وقد سيطر عليها الآن، حسب المدافعين عنه.

حتى أن زوجته ظهرت باكية، وقالت إن حياتها وحياة ثلاثة أطفال صغار ستكون صعبة جداً من دون قدرته على كسب معيشتهم لو خسر رخصته.

وتألم قلب آني الحنون. لكن تأكيد هيلينا لها بخشونة، أنها ليست المسؤولة عن محنتهم، جعلها تعدل عن التنازل عن حقها.

مع ذلك، فهي مرتاحة أن السائق من خارج البلدة، مما يقلل من فرص الالتقاء به.. أو بعائلته.

وبدا غريباً لها الآن، التفكير بأنها لم تعش كل حياتها هنا، في هذه البلدة الصغيرة، بتاريخها، بقلعتها، بجامعتها الصغيرة ونهرها.. ذلك النهر الذي كان يوماً، ومن سنوات طويلة جداً، المصدر الرئيسي لثرائها ومركزها، تستخدم مراكبه الآن للتسلية وقضاء الوقت فقط. المراكب التجارية التي كانت قديماً تأتي بكل ما هو غريب قد زالت وهي تنتمي إلى حقبة أخرى بعيدة عنها.

لم تكن آني قادرة على أن تتذكر لِمَ اختارت التقدم بطلبها إلى جامعة «ورايمينستر» ولا متى وصلت المدينة.. فهي بالتأكيد لم تتح لها فرصة عقد صداقات أو الإفضاء بأحلامها وطموحاتها لأحد. لقد حصلت الحادثة قبل أسبوع فقط من الفصل الدراسي الجديد. والعنوان الوحيد الذي تمكنت السلطات من إيجاده، كان عنوان الميتم حيث كبرت.

وحسب الملفات في الميتم أدركت هيلينا أنها كانت طفلة ذكية، ومنعزلة قليلاً لذا أخذتها إلى منزلها حين تركت المستشفى أخيراً.. وشجعتها على أن تكون مستقلة تماماً وساعدتها مع بوب على إيجاد منزلها الصغير المكتمل في مكان ليس بعيد عن منزلهما.

نزعت آني الثوب الذي اشترته مع هيلينا من لفافته الواقية، وزفرت نفساً عميقاً... لقد قامت بالكثير لتصل إلى هذا اليوم. وكانت مضطرة.. وكان الثوب من اللون الأزرق الثلجي المناسب لبشرتها وعينيها.. أحبته لحظة رأته ولكن لزمها الكثير من الإقناع والتملق من جهة هيلينا قبل أن تقتنع وتشتريه.

كان البنطلون من صوف «الكريب» الناعم يبرز طول ساقيها وضيق وركيها الناعمين، بينما أضاف المعطف الطويل أناقة ذات طراز يخطف الأنفاس. تحت المعطف، قميص مطرز جميل يضيف اللمسة الأخيرة للتألق.

لقد تنبأت وهي تدفع الثمن هازة رأسها: «لن أحصل على قيمة مالي منه. فأنا لا أذهب إلى أي مكان أستطيع أن أرتدي فيه فستاناً بهذه الفخامة».

وابتسمت لها هيلينا: «حسن جداً.. وربما يجب أن تبدأي.. فساید سيفعل أي شيء لتوافقي على الخروج معه».

كان ساید طبيب بنج وسيم انضم مؤخراً للعاملين في المستشفى.. وانجذب نحو آني لحظة شاهدها.

ردت بسرعة: «إنه ظريف».

وهزت رأسها: «لكن...».

ليس كرجل أحلامها.. أوه لا.. لا شيء يقارب رجل حلمها. فساید مرح فاتح اللون، فيما رجل حلمها أسمر بني الشعر، متملّك تقريباً.. بينما كان ساید وبالرغم من صغر سنه، ولد حزين. ودون أن تعرف كيف عرفت، عرفت أن حبيب الحلم له جو من السلطة والسيادة، رجولة قوية لا يمكن لساید، ولا بأية

طريقة، أن يقارن به.

بالرغم من تحفظاتها حول كلفة زيها الجديد، استسلمت في النهاية لأن الليلة احتفال مميز.. إنه ذكرى زواج أقرب الأصدقاء: بوب وهيلينا، وعيد ميلاد بوب.

وبعد نجاح المعركة القانونية الطويلة التي تحملتها قبل أن تكسب تعويضاً كبيراً لإصابتها، أخذت فترة راحة من عملها نزولاً عند رغبة هيلينا.. وفي وقت مبكر من الأسبوع، ودعت زملاءها في شركة الميترو للكيماويات، حول غداء خصصته للفتيات فقط.

أما لوجبة طعام هذا المساء فقد حجزت طاولة في أفخم مطعم في منطقة بيتروفيتش على شاطىء النهر، مصرّة أنها ستكون صاحبة الدعوة لهيلينا وبوب.. وأنها ستمر لتأخذهما في سيارتها المرسيدس الفخمة التي اقتنتها حديثاً.

كانت السيارة، خطوة حقيقية إلى الأمام بالنسبة لآني.. فهي لم تعد قادرة على القيادة بعد الحادثة مباشرة.. ولوقت طويل فيما بعد، بقيت خائفة حتى من الاقتراب إلى سيارة فكيف بقيادتها. لكنها في النهاية، تغلبت على خوفها، وخضعت لامتحان القيادة بنجاح. الضعف في ذراعها كان يعني الإحساس براحة أكبر وهي تقود سيارة آلية، لا يدوية.. وهكذا، بمساعدة هيلينا وتشجيعها مع بوب، سمحت لنفسها بالتمتع بفخامة السيارة الجميلة.

لم يلزمها الكثير لتكون جاهزة، فهي تفضل استخدام أقل ما يمكن من التبرج، وكانت هيلينا تقول لها حاسدة، بأنها محظوظة لتمتعها ببشرة ذهبية طبيعية ولو ان فمها كان ممتلئاً أكثر مما

تحب، فقد تعلمت كيف ترسمه بلون لحمي مخطط. كانت دائماً تسرح شعرها الحريري المستقيم الطويل ببساطة، وتبعده عن وجهها الجميل.

ما أن أنهت ارتداء ثيابها، حتى بدا الزي الجديد أفضل بكثير مما تذكره آني.. لقد شارفت دراستها على الانتهاء وبعد انتهاء القضية، ازدادت وزناً، وناسبها هذا تماماً.

نظرت إلى غرفة نومها فخورة وتقدمت إلى الباب.. اشترت منزلها الريفي الصغير الأنيق، من مال المكافأة التي أعطتها لها المحكمة، وكان خرباً جداً حين وجدته. عاشت مع دوشة البنائين ومعداتهم، بينما كان يرمم ويصلح، ترفض بعناد توسلات هيلينا وبوب للسكن معهما حتى انتهاء العمل. أرادت أن تكون موجودة، لتثبت نضوجها واستقلالها، والأهم، لتثبت لنفسها أنها قادرة على التعامل مع كل شيء لوحدها.

السرير الكبير المزدوج، الذي كان يحتل الغرفة، لم تكن واثقة لماذا اشترته.. لماذا اختارته من بين كل الأسرّة في صالة العرض، واتجهت نحوه وكأنها مسيّرة أو كشخص يسير في منامه.

كل ما عرفته، أنه كان السرير الذي يجب أن تحصل عليه.

وكان تعليق هيلينا يوم أخذتها لتراه: «حسن جداً.. إنه بالتأكيد يناسب المنزل».

وأعجبها طرازه الڤيكتوري المستحدث.

في أحلامها، كانت والحبيب دائماً هنا.. وأنبت نفسها وهي تشعر بالذنب لأنها ستتأخر على صديقتها إذا لم تتحرك.

وبوجه أكثر حمرة مما كان، نزلت السلم.

علقت هيلينا، بينما كانت آني تركن السيارة بحذر في الموقف الوحيد المتبقي في الموقف الخاص بالمطعم: «يا إلهي.. يبدو المكان مكتظاً هذا المساء».

ردت آني: «أجل.. لقد ذكروا لي حين حجزت الطاولة أنهم يتوقعون أمسية حافلة، واضح أن شركة «بيتروفيتش» تقيم عشاء لمستشار البيولوجيا المائية الجديد».

- أوه.. أجل. سمعت أنهم وجدوا شخصاً يأخذ مكان البروفسور سالتر. ولقد اختطفوه من إحدى دول الخليج.. أو هكذا سمعت.. إنه مؤهل جداً، وصغير نسبياً.. في الثلاثينات من عمره.. ويبدو أنه كان يعمل لشركة «بيتروفيتش» في السابق».

قاطعهما بوب: «همم.. من الغريب التفكير بعالم أحياء مائية يعمل لشركة بتروكيماويات».

ابتسمت هيلينا له ابتسامة الزوجة المحبة ثم تبادلت نظرة تآمر مع آني وهي تقول له ممازحة: «أعتقد أنك تفكر بعلماء الأحياء المائية كأناس يصنعون أفلام ما تحت الماء وأسماك القرش، والصخور المرجانية..».

أنكر بوب: «لا.. بالطبع لا».

وفضحته نظرته الخجولة.

قالت آني لهما: «معظم الشركات المتعددة الجنسيات تهتم هذه الأيام بأن يراها زبائنها أكثر خضرة من الاخضرار ذاته مراعاة لشروط البيئة.. ونظراً للتأثير الذي قد يتركه التسرب النفطي على بحور العالم ومحيطاته، وأشكال الحياة فيها، فمن المنطقي لشركة مثل «بيتروفيتش» أن تستعين بخدمات الخبراء».

وأصبحوا الآن خارج السيارة، يتجهون إلى المطعم.. الذي في الأساس كان منزلاً ريفياً خاصاً، حُوِّل بكل نجاح إلى مطعم فاخر، مزوّد ببيت زجاجي كمستنبت للزهور، وحديقة جميلة مذهلة تصل حتى النهر.. وهم يمرون قرب بوابة الحديد المؤدية إلى الحديقة الخاصة، استطاعوا رؤية داخلها، حيث أنارت إضاءة ماهرة عدة أشجار من نماذج مختلفة إضافة إلى فناء واسع وتماثيل تزيينية.

كان المطعم ملكاً لزوجين في أواخر الثلاثين من عمرهما، ويديرانه بنفسيهما.. ما أن لاحظت المالكة ليز راينفورد وجودهم حتى ابتسمت بترحيب دافىء، وهمست: «أبقيت لكم طاولة مفضلة».

وأشارت إلى الساقي ليقودهما إلى غرفة الطعام.

كانت ليز عضوة في جمعية خيرية محلية تساعدها آني بالتطوع لجمع تبرعات حين تستطيع. وكانت ليز تعرف قصة حادثة آني وعلاقتها بهيلينا وبوب.

وقالت وهي تبتسم: «أعرف أن الليلة مميزة لكم جميعاً».

وكانت الطاولة المفضلة بعيدة في زاوية خفية قرب النافذة، يستطيع المرء من خلالها رؤية الحديقة الطويلة ومن ورائها النهر.. لدى جلوسهم إلى مقاعدهم بإشراف الساقي، وتقديم لائحة الطعام، تنهدت آني ارتياحاً.

أحياناً، كانت تشعر وكأنها ولدت من جديد ذلك الصباح منذ خمس سنوات حين فتحت عينيها في سرير المستشفى لترى هيلينا تنظر إليها.. ولو أنها الآن تستطيع أن تتذكر طفولتها ومراهقتها،

كانت تشعر بأنها حصلت منذ زمن بعيد لشخص تعرفه فكان من الصعب عليها أحياناً أن تتذكر، تلك السنوات وتلك «الذكريات» لها.

كان ذلك نتيجة الصدمة العنيفة التي تلقاها جسدها ودماغها.. هذا ما سارعت هيلينا لإيضاحه وطمأنتها بأنها طريقة دماغها لحمايتها.

كان المطعم ممتلئاً، وأبواب البيت الزجاجي مقفلة، لحماية خصوصية المحتفلين من شركة «بتروفتيش» الذين يتناولون العشاء في الداخل.. كانت الفتيات في المكتب يتكلمن عن المستشار الجديد حين كانت آني لا تزال تعمل مطلع الأسبوع. وقالت لهن بيڤرلي سميث، إحدى المساعدات الكبار:

- لديه عمله الخاص وبتروفيتش هي مجرد زبون لديه.. سيأتي إلى هنا يومين في الأسبوع، حين لا يكون في موقع العمل.

علّقت إحدى الفتيات بحسد: «همم.. أتساءل عما إذا كان يحتاج إلى سكرتيرة خاصة.. فأنا بكل تأكيد لن أمانع في رحلتين إلى «بارير ريف»».

ردت أخرى بسخرية: «بارير ريف؟ إنه مكان مثل ألاسكا، إنه أسخن بقعة لعلماء الأحياء المائية».

واستمعت آني إليهن بابتسامة. ولو أنها دعيت أكثر من مرة للخروج مع الموظفين الرجال، إلا أنها لم تقبل مرة أبداً.. وكانت هيلينا قد حذرتها بلطف أنها في خطر ترك حلمها يعمي بصرها عن الحقيقة، وعن صحبة رجل الواقع. لكن آني كانت

تعي تماماً أن سبب ترددها أشياء أكثر رومانسية من الخيال.

كان الأمر تقريباً، وكأن شيئاً في أعماقها يقول لها إن من الخطأ لها أن تبدأ بالخروج مع رجل.. ولكن لِمَ تساورها تلك الظنون، فهي لا تعرف أبداً.. في الواقع، كانت تشعر بالغباء في الإقرار بهذا لهيلينا.. كل ما تعرفه هو أنها ولسبب ما، يجب أن تنتظر.. ولكن تنتظر ماذا؟ تنتظر من؟ ليس لديها فكرة.. إنها فقط تعرف أن هذا ما يجب أن تفعله!

* * *

www.elromancea.com

٢ ـ هل يتجسد الحلم؟

ظهر الساقي ومعه إبريق عصير وثلاثة كؤوس، فبدأت آني تقول: «أوه.. نحن لم نطلب شيئاً بعد».

ثم صمتت وهي ترى النظرة التي تبادلتها هيلينا وبوب، وأكملت مؤنبة: «يفترض أن تكون هذه دعوتي».

رد بوب بمحبة: «أجل.. لكنه احتفالنا».

وافقت آني بهدوء.. عيناها واسعتان قاتمتان لكثافة أفكارها، والدموع بدأت تملأهما وهي تستدير إلى هيلينا وتقول لها بصوت أجش: «لولاك..».

وصمتت غير قادرة على الإكمال، وجلس الثلاثة بصمت.

وأخيراً، استطاع بوب كسر لحظة التشنج العاطفي، فالتقط كأسه ورفعه معلناً بصوت حازم: «نخبك.. آني..».

انضمت هيلينا إلى النخب: «أجل.. حبي لك».

وهي تنظر إلى وجه آني المحمر تعجبت هيلينا لقدرة الجسم البشري على التحمل. من الصعب مقارنة المرأة الشابة صحيحة الجسم التي أمامها الآن، مع ضحية ذلك الحادث التي شاهدتها ملقاة هامدة على عربة المستشفى وهم يدخلونها بسرعة إلى قسم

الطوارىء.

فيما بعد، وهم ينتظرون طبق الحلوى اعتذرت آني: «سأذهب إلى الحمام قليلاً».

ووقفت لتسير نحو غرفة الملابس في الردهة. وكانت على وشك أن تمر بالمدخل الموصل إلى البيت الزجاجي حين انفتح الباب وخرج أربعة رجال.. عرفت آني اثنين منهم كأحد مدراء الشركة التي تعمل لها والثالث لا تعرفه.. أما الرابع..

قفز قلبها بذهول داخل صدرها، وسمرتها الصدمة في مكانها حيث تقف، تنظر فاغرة الفم إلى الفرد الرابع بعدم تصديق كامل.

إنه.. الرجل.. الرجل من أحلامها.. إنه يشابهه تماماً بحيث لم تستطع سوى الوقوف والتحديق به بصدمة صامتة.. رجل أحلامها يصبح حياً! لكن كيف يمكن لهذا أن يكون ممكناً وهو مجرد فكرة لفقها خيالها، مخلوق ابتدعته من دماغها؟ لا.. الأمر غير ممكن.. لا بد أنها تتخيل.. إنه هلوسة.. لا بد أنها مصابة بدوار.

أغمضت عينيها بسرعة، وعدّت إلى العشرة، ثم فتحتهما. كان لا يزال هناك. والأكثر عجباً أنه كان ينظر إليها.. أحست وكأن دمها يجف من شرايينها.. ليتركها فارغة. جسمها بارد. ملأها الذعر فحاولت أن تتحرك، ولم تستطع. حاولت أن تتكلم، لكن ما من صوت خرج من حنجرتها المشلولة.. إحساس خوف بشع، فظيع، غمرها. أرادت أن تتحرك.. أرادت أن تتكلم.. لكنها لم تستطع، وعرفت آني بتأكيد رهيب أنها ستفقد الوعي.

حين استفاقت، كانت في جناح ليز الخاص وبوب وهيلينا يقفان فوقها بلهفة.

سألت هيلينا بقلق وهي تمسك يدها: «حبيبتي.. ما الأمر.. ماذا حدث؟».

وأدركت آني مرتجفة أن هيلينا تجس نبضها، للتأكد من وضعها الصحي. أجبرت نفسها أن تجلس، وقالت بإصرار: «أنا بخير.. لقد أغمي علي فقط.. هذا كل شيء».

وكانت تهمس بطريقة مصدومة لم تمكنها من قول ما حدث تماماً، واعتذرت من ليز متجاهلة احتجاج هيلينا.

ـ أنا آسفة.

وطوّحت قدميها إلى الأرض، تصرّ بأسنانها نتيجة للدوار الذي أصابها وهي تقف.

وبالطبع، لم تسمح لها هيلينا أو بوب بقيادة السيارة إلى المنزل، ولا بالعودة لوحدها، إلى السرير الكبير الخالي في بيتها الجديد. أثارت هيلينا ضجة حول وضعها الصحي رغم تأكيد آني على سلامتها وأصرّت أن من الأفضل أن تجري فحصاً عاماً.

قالت آني بإصرار: «لا أشكو من شيء. تلقيت صدمة بسيطة وهذا كل شيء».

سألت هيلينا بلهفة: «صدمة؟ أي نوع من الصدمة؟».

ـ ظننت أنني رأيت شخصاً ما.. أنا..

وصمتت آني وقد جف فمها وهي تكمل: «لا بد أنني أخطأت في التصور.. أعرف هذا لأنه من المستحيل أن..».

أصرّت هيلينا على السؤال: «من كان؟ من ظننت أنك رأيت

آني؟».

ـ لم.. لم يكن أحداً.. كان.. مجرد.. مجرد وهم.

وكرّرت هذا بعناد ولكن حين تناولت فنجان الشاي الذي جاء به بوب، بدأت ترتجف بعنف حتى أنها اضطرت إلى وضعه من يدها.

غطت وجهها بيديها واعترفت مرتجفة: «أوه.. هيلينا.. لقد كان.. كان.. حقيقياً.. لقد رأيته.. الرجل.. من أحلامي.. لقد كان...».

وصمتت تهز رأسها: «أعرف أن هذا مستحيل، وأن لا وجود له.. لكن..».

قالت هيلينا بحزم: «أنت منفعلة.. سأعطيك شيئاً يساعدك على الاسترخاء والنوم، ثم يمكننا أن نتكلم عن الأمر في الصباح، بشكل لائق».

وهي تستند إلى الوسائد، ابتسمت آني بضعف.. فهي تعرف أن صديقتها محقة، طبعاً.

بعد عدة دقائق، عادت هيلينا إلى الغرفة ومعها كوب ماء وقرصين.. وتأكدت بحنان الأم أن آني ابتلعتهما. وهمست آني ناعسة بعدما سرى مفعول القرصين: «أنا آسفة لإفساد أمسيتكما».

الآن وقد بدأت تشعر بهدوء أكثر، لم تستطع أن تفهم سبب ردة فعلها المبالغة لمجرد تبيُّنها الشبه بين رجل رأته في المطعم وحبيبها الخيالي.. على أي حال، لا يمكن لرجل أحلامها أن ينظر إليها مثلما نظر الرجل الذي في المطعم: العدوانية الباردة تجلّت في عينيه الزرقاوين القاتمتين، تلك النظرة الجوفاء التي

تحمل الازدراء والغضب المكبوت.

أحست آني بثقل في عينيها، وبعد عشر دقائق، حين أغلقت هيلينا باب غرفة النوم بهدوء خلفها، كانت آني تغط في نوم عميق.

قالت هيلينا لزوجها وهي تنضم إليه في الطابق الأسفل: «أعتقد أن مشاعر هذه الأمسية والذكريات التي أثارتها، هي السبب الأساسي لما حصل».

سألها بوب بفضول: «همم.. هل يمكن أن تكون تعرفت حقاً على ذلك الرجل الذي رأته؟».

ـ هذا ممكن كما أعتقد.. وأنت تعرف أن هناك أحداثاً مفقود في ذاكرتها.. إنها تتذكر وصولها إلى «ورايمنستر» لكنها لا تستطيع أن تتذكر متى. من الصعب التصوُّر أنها كانت متورطة إلى هذا الحد بعلاقة عاطفية مع رجل بلغت به القسوة أن لا يتصل بها بعد الحادث.. على أي حال لقد انتشر الخبر في كل الصحف المحلية ومن المستغرب جهله بالوقائع.

فرد بوب موافقاً: «أجل.. يبدو هذا مستحيلاً».

* * *

وفي منامها، بدأت آني تبتسم، وجسمها يرتجف بمزيج من التوتر والإثارة..

«يا إلهي.. كم أنت رائعة.. دعيني أنظر إليك وأنا أحتضنك يا آني الصغيرة.. كم أرغب بك».

أجفلت آني قليلاً وشعرت بتوتر في البداية وضعف قلبها بلهفة. لكن، ومع تولي السعادة زمام الأمور بدأ التوتر يتلاشى،

وجسمها يسترخي مع بداية استجابتها للإطراء بينما كان ينظر إلى جمالها بدفء وحب.

كان يعرف أن هذه أول تجربة لها في الحب..

وكان قلبها وروحها يريدانه بشوق، محبوس داخلها في مكان سري معه وكأن المفتاح له وحده.

إنها تحبه كثيراً.. تريده كثيراً.. بطُلَ ما كان من المستحيل التفكير به مع أي شخص، فحبها له يملأ كيانها ويكاد يخطف أنفاسها.. ما عليه سوى النظر إليها لتذوب.

كان شاعرياً بلفظه لاسمها أعظم من أعظم قصيدة، طريقة نظرته إليها أجمل من أي أغنية حب سمعتها من قبل.. ما يجعلها تشعر بمشاعر مجنونة ومخيفة.. إنه يجعلها تريد أن تضحك وتبكي في آن معاً، يملأها بسعادة تغمرها بالخوف.. يجعلها تشعر أنها خالدة في نظره، وهو مع ذلك يملأها بإحساس هش، فاعتمادها المخيف عليه يجعلها تختنق رعباً لمجرد خسارته.

سألها بنعومة: «هل قال لك أحد من قبل إن لك أجمل وجه في العالم؟».

ومرر أصبعه على ثناياه وابتسم عندما رأى ملامحها ترق أكثر فأكثر.

وتأوهت آني في منامها بصوت مرتفع، وتململت بانتظار أن يحتضنها.

دخلت شمس المساء عبر النافذة العريضة.. ولو فتحت آني عينيها، فهي تعرف أنها سترى عبر النافذة المغيب القرمزي في التلال البعيدة. وأنها لو وقفت قربها ستتطلع إلى اندفاع النهر،

إنها تستطيع سماع خرير المياه الناعم، وتكاد تشعر بقوة تياره..

واستيقظت آني فجأة، وجسمها كله ينضح عرقاً ونبضها يتسارع.. وهي تجلس في السرير، غطت وجهها بيدين مرتجفتين.

كان حلمها قوياً.. حقيقياً.. والرجل الذي فيه، كان.. حياً بشكل مخيف.

حاولت أن تتنشق الهواء بملء رئتيها، ثم أغمضت عينيها، تستعيد ذكرى اللحظة التي لثمت فيها أثر الجرح الذي شاهدته على صدغه.. نفس الجرح الموجود في وجه الرجل في المطعم.. كم مرة حلمت بأثر الجرح هذا دون أن تعرف؟

كل ما تذكره أن جموداً شرساً تملكه وهي تلامسه.. إنه مألوف لها مثل انعكاس صورتها في المرآة. لكن كيف يمكن أن يكون هذا؟ ماذا حدث لها؟ هل تمر بتجربة حاسة سادسة، لمحة لا يمكن تبريرها نحو المستقبل؟ هل مقدر لهما أن يلتقيا.. وهل.. هذه الأحلام، وسيلة القدر الوحيدة لتحذيرها مما هو قادم، أو ما سيكون؟ وبدأ جسمها كله يرتجف.

كانت قريبة جداً من الموت. ولو أنها كرهت الاعتراف ولكنها اختبرت الإحساس الذي قرأت عنه سراً ويقال إنه مألوف من الناس الذين شاركوها تجربتها.. ذلك الشعور بالإسراع نحو مكان رائع رحب، وهي مشدودة عبر الظلمة إلى نور يوحي بالسكينة والسلام، ثم إدراك مفاجيء أنها مشدودة إلى الخلف.. وذلك الصوت، الذي يعلن أن وقتها لم يحن بعد.

هل أعطتها تلك التجربة، الفريدة، تجربة الحياة ما بعد

الموت، القدرة على التنبؤ أو اختبار أحداث مميزة سوف تحصل؟

هل أثر عليها ذلك التوق السري الذي حملته طوال حياتها تجاه شخص يبادلها المحبة لدرجة أنها تعيش فعلاً في أحلامها ما سوف تختبره في الواقع؟ هل حبيب أحلامها، ليس بدعة من خيالها بقدر ما هو مرتبط بمستقبلها؟

مستحيل.. مستحيل.. ولكن هناك الكثير من الغموض الذي يتحدى المنطق.

فالخوف الذي أحست به عند المساء، الإحساس بالصدمة والذعر، استبدل بإثارة كادت تكون حية.. رجل حلمها لم يكن وهماً، إنه حقيقي.. لقد تجسد أمس في نشوة، تحتضن أفكارها، وأحست بالقوة ذاتها التي تتشوق فيها إليه ليحتضنها ويعانقها.

مر وقت طويل قبل أن تعود إلى النوم، وحين استسلمت أخيراً، أقنعتها حالتها المشوشة أن اللقاء المسائي مع فتى أحلامها كان تحضيراً للمستقبل.

ـ آني.. كيف تشعرين هذا الصباح يا حبي؟

وركزت آني ناعسة على هيلينا وهي تدخل غرفة النوم حاملة فنجان قهوة.

قالت آني معترفة: «لست واثقة.. هذه الأقراص التي أعطيتني إياها بلبلت أفكاري».

واستقامت في السرير، وتغير صوتها وهي تنظر إلى صديقتها بعناد ثابت، وسألت بوقار: «هيلينا.. هل تؤمنين بالقدر؟».

ردت هيلينا بحذر: «لست واثقة تماماً مما تعنين».

قالت آني بصوت منخفض: «ذلك الرجل.. الذي رأيته في

المطعم ليلة أمس.. في البداية ظننته تخيلاً إذ من المستحيل أن يكون الرجل ذاته الذي أحلم به.. ولكن، ليلة أمس، حلمت به مرة أخرى.. وعرفت..».

أخذت نفساً عميقاً وقالت لهيلينا بصوت أجش: «أعتقد أننا مقدر لنا أن نلتقي بطريقة ما.. هيلينا».

وصمتت محدّقة بصديقتها: «أوه.. أعرف كم يبدو كلامي مستحيلاً.. لكن ما هو التفسير المنطقي؟ أنا لا أدعي أنني أعرف لماذا حلمت به، أو لماذا أشعر وكأنني أعرفه، أرجوك، لا تقولي لي إنك تعتقدينني سخيفة».

وعدتها هيلينا بهدوء: «لن أفعل».

وجلست على حافة السرير تملس خصلة شعر ناعمة إلى الوراء بعيداً عن آني التي وضعت بدورها فنجان القهوة على الطاولة الصغيرة قرب السرير.

كانت آني عزيزة جداً عليها، الابنة التي لم ترزق.. ولكنها ستبقى في نظر هيلينا، شابة ضعيفة. فقوة الحادثة والإصابات الناجمة عنها قد تلاشت تدريجياً نظراً لحيوية الشابات في سنها.

ولم تكن آني بسيطة الفهم إطلاقاً.. فقد حصلت على درجتها الجامعية ولديها اهتمام بالعالم والناس ما يجعلها تبدو أكبر وأكثر حكمة من أندادها.. لكن المدة الطويلة التي أمضتها لاستعادة عافيتها من الحادثة، لم تتح لها فرصة النضوج كامرأة. أو الانغماس في كل الحماقات التي يفعلها الشبان خلال سنوات المراهقة، والتي تقود المرء من سنوات المراهقة إلى مرحلة النضوج.

يبدو الآن أنها تفضل الخيال بدلاً من الخروج في موعد مع رجل حقيقي.. بحيث أنها مصممة بعناد أن تؤمن بالقضاء والقدر لا بالحقائق.

قالت آني تتهم هيلينا بصراحة: «أنت تعتقدين فعلاً أنني سخيفة».

ردت هيلينا بهدوء: «لست سخيفة.. لكن، ربما..».

وتوقفت عن الكلام، ثم ابتسمت لآني قبل أن تسألها بلطف: «هل خطر ببالك أن هذا الرجل قد يكون مألوفاً لأنه فعلاً مألوف؟».

سألت آني بارتباك: «أتعنين.. من أحلامي؟».

ـ لا.. ليس من أحلامك.

وصمتت هيلينا ثم أكملت بهدوء: «آني.. ربما كان مألوفاً لديك لأنك تعرفينه فعلاً».

بدت آني مشدوهة: «أعرفه؟ لا.. هذا مستحيل».

انتظرت هيلينا قليلاً قبل أن تذكرها بلطف: «هناك فجوات في ذاكرتك عزيزتي، فتلك الأسابيع التي سبقت الحادثة إضافة إلى وقائع الحادثة ذاتها، والأسابيع التي تلتها، حين كنت في الغيبوبة».

تغضن جبين آني بتقطيبة صغيرة: «أجل.. أعرف. ولكن لا يمكن أن أكون عرفته بالطريقة التي أشعر بها نحوه.. لو كنت أعرفه، لكان حدثني أمس».

وصمتت تهز رأسها: «لا.. هذا لا يمكن، لكنت عرفت لو أنه.. لو أنني.. لو أننا.. لا».

وافقت هيلينا ببطء: «أعترف أن الأمر يبدو معقداً.. ولكنني أحسست أن من واجبي تذكيرك بهذا الاحتمال».

ضمتها آني بحرارة: «أفهم.. لكن لو كان يعرفني لكان عادني في المستشفى حين تصدرت حادثتي الأنباء.. أليس كذلك! إضافة إلى هذا..».

وارتسمت ابتسامة سرية صغيرة على فمها والتمعت عيناها فجأة بسعادة خاصة: «أعرف لو أنه.. لو أننا..».

وصمتت مجدداً تهز رأسها: «لا.. لكنت عرفت.. آسفة لتسببي بالهلع لك بسبب فقداني الوعي ليلة أمس. أعتقد أن السبب هو رؤيتي له والشبه الكبير الذي تبينته بينهما».

ردت هيلينا: «حسن جداً.. لقد كانت أمسية عاطفية جداً».

ـ لقد كنت رائعة معي.

ومدت يدها بحب لتغطي يد المرأة بيديها.

قالت هيلينا بحب: «كل شيء قدمته لك آني، بادلتني إياه ألف مرة.. كما أنك ستنجبين لنا أحفاداً».

وتعمّدت هيلينا المزاح لتخفيف الجو قبل أن تصيح بصوت متلهف صغير: «يا إلهي بوب! لقد وعدته بتوضيب الثياب للسفر إلى المؤتمر المقرر غداً.. لا بأس».

وابتسمت بشيطنة: «إنه أفضل مني بهذا!».

ضحكت آني: «أربعة أيام في «ريودو جانيرو».. كم هذا رائع».

ردت هيلينا بخشونة: «ليس بالروعة التي تظنين.. سيستمر المؤتمر ثلاثة أيام، وحين سنأخذ وقتاً لنستعيد أنفاسنا من السفر

سيجرّني بوب وراءه لرؤية الآثار المحلية..».

مازحتها آني: «توقفي عن التذمر، تعرفين أنك ستحبين الرحلة. حين ذهبنا نحن الثلاثة إلى رودا السنة الماضية، كنت أنا من اضطر للعودة إلى الفندق طلباً للراحة!».

ـ أجل.. كانت رحلة رائعة.. أليس كذلك؟

ووقفت على السرير وهي تقول لآني: «لا تسرعي في الخروج.. قد تشعرين أنك على ما يرام، لكن جسمك لا زال مصدوماً».

أكدت آني لصديقتها: «كان مجرد إغماء.. هذا كل شيء».

لم تكن مندهشة تماماً، حين أصرت هيلينا فيما بعد على مواكبتها إلى المستشفى كي تجري لها فحصاً طبياً شاملاً.

قال الطبيب الشاب بذكاء بعدما طمأن آني: «الأمهات! كم يحبين إثارة الضجيج».

قالت آني ضاحكة: «أوليس كذلك؟».

ثم احمر وجهها قليلاً لنظرات الإعجاب التي رمقها بها الشاب..

* * *

٣ ـ ليلة في العمر

سألت هيلينا بينما كانت آني توصلها مع بوب إلى المطار: «هل أنت واثقة أنك على ما يرام؟».

قالت آني بابتسامة طيبة: «أنا بخير.. توقفي عن القلق».

وعانقتهما وقبلتهما مودعة: «ولأبرهن أنني بخير، سأعود إلى المنزل وأبدأ العمل الذي أنوي منذ أشهر أن أقوم به في الحديقة».

حديقة منزلها الصغير، طويلة وضيقة مقفلة من الخلف بجدار مرتفع يؤمن لها خلوتها، لكنه يعطي الحديقة إحساساً «بالعزلة».

من بين عدة هدايا لعيد الميلاد أهداها بوب وهيلينا لآني، كان هناك كتاب متخصص في الحدائق، مع أفكار رائعة إضافة إلى هدية كريمة هي كناية عن كفالة مركز حدائق محلي. ولقد توصلت آني، التي درست الكتاب بدقة، إلى تخطيط خاص بها للحديقة أساسه مبادىء الكتاب.

أول ما كانت تحتاجه، هو بعض التعاريش الملونة الجميلة تضعها على الجدران.. هكذا، وبعد أن راقبت طائرة هيلينا وبوب تقلع، عادت إلى سيارتها وقادتها نحو مركز الحدائق.

بعد عدة ساعات سعيدة منتجة، عادت آني إلى سيارتها، بعد أن اختارت التعاريش المطلوبة ورتبت أمر إيصالها، إضافة إلى

أخذ رقم هاتف شخص سيأتي ليثبت التعاريش في مكانها.

وهي تدير محرك سيارتها، كانت تدندن بسعادة لنفسها. كان يوماً مشمساً براقاً، وهواء سريع يدفع بغيوم بيضاء عبر السماء.. وباندفاع، وبدلاً من العودة مباشرة إلى المنزل، اختارت آني أن تتجه نحو النهر.

الأراضي الريفية الجميلة المشجّرة في ضواحي البلدة، تتقاطع بدروب ضيقة، يسير المرء فيها عبر الأشجار، ويفتقد منظر النهر.. وأدركت آني هذا بعد أن وصلت إلى تقاطع طرق متشعب، ووقفت، غير واثقة أي طريق تسلك.

أرادت، غريزياً، أن تتجه إلى اليمين، لكن المنطق أملى عليها بالاتجاه يساراً نحو النهر. وبهزة كتف، استسلمت للحدس، وبدأ القلق ينتابها مع ازدياد ضيق الطريق الذي اختارته ليصبح بانجاه واحد، ويتصاعد في منحدر حاد تحيط به شجيرات شائكة ومرتفعة، بحيث استحال عليها تحديد مكانها.. عندها أدركت أنها سلكت الطريق الخطأ، ولكنها أحست بأن الطريق مألوفة بشكل من الأشكال.

شهقت وهي تستدير إلى منعطف حاد، ورأت أمامها مدخلاً لمنزل ڤيكتوري قديم.. تعلو كل باب منحوتة معدنية غريبة مصنوعة من الرماح المعدنية المستخدمة في سفن الرجل الذي بنى هذا المنزل بالمال الذي جناه من صيد الحيتان.. كيف عرفت هذا؟ تساءلت آني بارتباك وهي توقف سيارتها داخل الطريق الداخلية للمنزل وتطفىء المحرك.. لا بد أنها قرأته في مكان ما. فلقد طالعت الكثير من الكتب خلال فترة النقاهة، بما فيها بعض

من كتب التاريخ المحلي للمنطقة.

ورغم ذلك.. نزلت مترددة من سيارتها، وقلبها يضرب بقوة، متجهة نحو المنزل. كانت شجيرات الورد المحيطة بالطريق الداخلية، تحجب الشمس، وترمي ظلالاً سوداء طويلة. حين سطعت الشمس فوقها بهرتها، وأصابتها بدوار جعلها تترنح قليلاً وتغمض عينيها. عندما فتحتهما مجدداً أحست بشيء ما يحجب عنها دفء الشمس.

فهمست: «أنت!»

وأخذ جسمها كله يرتجف من تأثير الصدمة والبهجة وهي ترى هوية الواقف أمامها، وهمست مجدداً: «هذا أنت؟».

التمعت عيناها ذهولاً وسعادة وهي تخطو نحو الرجل الذي خرج من المنزل ليقف أمامها.

في ضوء النهار، كان يشبه تماماً الرجل في أحلامها، وجمدها الانفعال والاندفاع الذي أوصلها إلى هنا.

لقد كانت على صواب.. هناك شيء «قدري» بينهما..

تركزت عيناها عليه، تستوعب بلهفة كل تفاصيله، وتقارنها فكرياً بصورتها الخاصة عنه. كانت عيناه بنفس الزرقة القاتمة التي حلمت بها.. بشرته سمراء، وشعره الكحلي السواد.. كما حلمت به تماماً.. كل شيء.. كل شيء..

وارتجفت آني ببهجة وهي تنظر إلى وجهه الذي ينضح بالرجولة وإلى الوعد المثير في العينين الساخرتين. لو أغمضت عينيها لتمكنت من الإحساس بعينيه تنظران إليها بشغف.. بحب.. برقة.. تحثانها بلهفة على الاقتراب منه والتنعم بذراعيه

حولها.

- إذن.. لقد جئت.

وترددت ذبذبات صوته في داخلها.. رنته خشنة بشكل غير متوقع، وحادة تقريباً، لكنها كانت مألوفة لها بالكامل.

ارتجفت مع اجتياح تشنجات عنيفة جسمها.. لقد سافرت مسافات طويلة لتصل إلى هذه اللحظة.. لقد ضرب لها القدر موعداً لم يكن في الحسبان.

همست: «أجل».

وتكسّر صوتها بسبب جفاف حنجرتها، وسألت: «أنت.. كنت تعرف.. أنني قادمة؟».

وأحست أنها دخلت فجأة بُعداً إضافياً من الزمن.

من خلفه، استطاعت أن ترى الباب المفتوح للمنزل، الردهة الواسعة وفيها طاولة عليها تمثال برونزي للرجل الذي بنى المنزل. وعلى السلم المؤدي إلى أعلى، منحوتات لكل أنواع الكائنات البحرية الحقيقية والخرافية: دلافين، حيتان، أخطبوط، جياد البحر، وعرائس البحر.

- أنا..

وبدا صوته متصلباً متوتراً وكأنما يعي أيضاً ضخامة ما يحدث.. نظرت إليه لترى الطريقة التي تبدلت فيها نظرته، وكأنما لم يكن قادراً على ملاقاة نظرتها، وغمرها سيل مفاجيء من الحب.

وتحركت نحوه غريزياً، لتستريح يدها بخفة على ذراعه تهمس له وكأنها تحاول حمايته: «لا بأس عليك.. كل شيء على

ما يرام.. أنا هنا.. ونحن..».

تحت أطراف أصابعها أحست بعضلاته تثب وتنكمش.. وهي ترفع نظرها إلى وجهه استطاعت أن ترى الخط الأبيض المشدود لفمه. استجاب جسمها لما يشعر به من رجفات سريعة في أوصاله.

سألته مترددة: «هل يمكن.. أن أدخل؟».

وجذبها إلى المنزل، أجبرها أن تسير معه، وكأنها تعرف البيت، تعرف شكله، غرفه، تاريخه، حتى رائحته.. كما تعرف الرجل تماماً..

جاء الآن دورها لترتجف وتتوتر، لقد أصبحت داخل الردهة، وكان خلفها تماماً، يسد النور القادم من باب المدخل المفتوح.

قالت ببساطة وهي تترك لعينها الحالمة أن تتجول في زواياه: «لم أكن أعتقد أن هذا سيحدث».

كان طويل القامة.. أطول منها بكثير.. عريض المنكبين كذلك. تذكر تماماً ملمسه تحت قميصه الأنيق الذي يرتديه وتعرف موضع الجرح على فخذه الأيمن، إنه شق صغير تذكار لحادثة طفولة..

أخذت ترتجف بوحشية، غير قادرة على إيقاف ما تشعر به.. ورفرف قلبها فرحاً وهي تنظر إليه.. إنها تحبه كثيراً!

سألت بصوت أجش، وعيناها لا تتركان وجهه: «هل يمكن.. أن أصعد إلى فوق؟».

وانتظرت رده.

وبدا لها الزمن عمراً كاملاً قبل أن يرد، صوته متصلب وهو

يرد أخيراً: «إذا كان هذا ما تريدين».

ردت بجرأة: «أجل.. أجل. إنه.. إنه ما أريده».

وتشوقت أن تكمل: أحبك.. لكن الأحداث كانت تدور بسرعة دون أن تعطيها الوقت لمثل هذا التصريح العاطفي.

وبدلاً من ذلك.. تركت ذراعه، واستدارت نحو السلم. ثم، وبطيش، مدت يدها تلامس وجهه بأطراف أصابعها، تستوعب الدفء الإنساني الذي حلمت به.. إنه حقيقة واقعة، وليس مجرد حبيب الأحلام، إنه الحبيب الحقيقي.

رغم كونه حليق الذقن، إلا أنها استطاعت أن تتحسس خشونة بشرته الرجولية تحت نعومة أصابعها الأنثوية. وانتزعت أصابعها بعيداً وكأن النار لسعتها. اتسعت عيناها وازدادتا عمقاً، فبدتا معذبتين وهي تنظر إليه.

سألها بخشونة: «أنت تريدينني».

لكنه كان تقرير واقع لا سؤال. وهزت آني رأسها كالبكماء وقد حانت لحظة الحقيقة. عليها أن تواجه أخيراً ما رسمه القدر لهما.. إنه هنا.. فعلاً.

مرّت نظرتها على وجهه متوترة كظبية في الغابة.. عيناه، أصبحتا الآن بلون أعماق المحيط تحترقان حرارة.. وجنتاه مشدودتان قاسيتان حيث تتمدد بشرتهما..

أحست بدوار، مشوشة الذهن بقوة شوقها. وطال الصمت والتوتر بينهما وكأنه طبقة جليد فوق أخطر مياه يمكن أن تتواجد.. مياه تقودها إلى عمق القرار.

قال آمراً بقوة ناعمة: «تعالي إلى هنا».

اقتربت على الفور.. فضاقت المسافة بينهما وهي تتحرك، مترنحة لفرط الإثارة.. مأسورة بفعل السعادة التي تملأ روحها وقلبها.. ثم أطبق أخيراً ذراعيه حولها، واستدارت لتواجهه.

قال: «أجل.. أجل.. أنت تريديني..».

وسمعته يتلفظ باسمها. صوته ناعم وحنون. احتواها بين ذراعيه ثم عانقها فحرّك المشاعر التي كانت تثيرها أحلامها طويلاً.

سمعته يسأل بصوت منخفض: «هل أنت راضية؟».

وقبل أن ترد، أو تستطيع الحركة أخفض رأسه نحوها مجدداً، ليقدم على الهجوم المحب.

شعرت بالسعادة لأنها أخيراً وجدت رجل أحلامها. أمسكت أنفاسها وشعرت بأن الزمن قد توقف.. من خلف عينيها المغمضتين، استطاعت رؤية اللون الأبيض البراق الذي تذكره. إنه صاف، حارق، قوي، يلامس الروح..

فتحت عينيها بسرعة وركزت على رأسه الأسود الفحمي المنحني.. تحسست مؤخرة عنقه الدافئة التي تشكل تناقضاً مع مشاعره الحارة ومع استجابتها له..

أجفلت آني فوراً، وكأن شيئاً لامس وتراً حساساً داخل ذاكرتها. شعرت بقوى بدائية تشدها فتجمدت دونما حراك، أحست بالوهن والخوف يزحف إلى قلبها..

سأل بخشونة ورفع رأسه لينظر في عينيها: «ما الأمر..؟ هل تراجعت؟».

في عينيه تعبير ما، جعلها تشيح بوجهها بعيداً عنه. في

أعماقها، نوع من الألم، القلق، يتحرك. لكنها كتمته بسرعة، لا يمكن أن تسمح له أن يفسد هذا السحر المميز..!

بدأت تقول ببطء: «أنا..».

فتشت عن الكلمات المعبرة، لتطلب منه أن يساعدها في التخفيف من وخز الألم الذي تشعر به يهددها، وأن ينتزع الأذى المحتمل الذي تتنبأ بوقوعه.

بدلاً من الإصغاء إليها، هز رأسه وقال بنعومة: «ظننتك تريدينا أن نكون معاً.. أنت تريدين هذا.. أليس كذلك آني؟».

آني..! إنه يعرف اسمها.. وخفق قلبها بعنف داخل صدرها، تشنج جسمها كله لفرط المفاجأة.

وأخيراً، تمكنت أن تقول: «أنا.. أريدك.. أريدك بكل جوارحي».

ثم أضافت مقطوعة الأنفاس لمعرفتها بأن قدرهما متشابه.

ـ فوق..

رد عليها: «أعرف».

وسارا معاً إلى الطابق الأعلى، خطوة خطوة. يحيطها بذراعه وهي تستند بعجز عليه.. توقفت ونظرت عبر النافذة آلياً نحو النهر.

قالت بصوت أجش: «هذا المنزل بناه صياد حيتان».

ثم صمتت تفتش عن الكلمات المناسبة لتقول له ما خبرته.

ـ هناك شيء يشدّني إليك، إلى هذه الغرفة..

دون أن تكمل، عادت لتحتمي بجسمه، مدركة أنها كانت تكتم أنفاسها متوترة حين ارتفعت ذراعه تحتضنها.

وصلا أعلى السلم، ووقفا أمام باب الغرفة قبل أن يقول الكلمات التي جعلت قلبها يقفز من الفرح في داخلها.

ـ وأنا أحلم بك كذلك.

لقد حلم بها.. إنها ليست وحيدة في إيمانها بالقدر.. وطغى عليها الفرح، فاستدارت إليه تمسك ذراعه بيدها وتسأل: «لقد عرفتني إذن.. تلك الليلة في المطعم؟».

هزة رأسه السريعة، المترددة تقريباً، جعلتها تتألم بشوق إليه.. لقد أحس بالحرج، لأنه كشف عن ضعفه أمامها. أوه.. كم تحبه.. كم من الرائع أنهما وجدا بعضهما.

قالت بحنان: «سيكون كل شيء رائعاً.. سنكون رائعين معاً..».

كانت الغرفة، كما حلمت بها تماماً. النوافذ الكبيرة، والمنظر الذي يمتد نزولاً حتى النهر، والحقول والتلال من الناحية الأخرى.. أرض الغرفة، خشبية مصقولة، الجدران عارية، النوافذ بستائرها الخيالية.. والسرير..

ارتجفت آني لرؤية السرير. غير قادرة على إشاحة نظرها عنه دون أن يرف لها جفن.. الجانبان الحديديان المشغولان بدقة بعكس سريرها، كان هذا من النوع الأصلي. ببطء شديد، ولطف، مدت يدها تلامس الإطار السفلي.. كان المعدن دافئاً للمستها، بفعل مرور الزمن. السرير أكبر من حجم سريرها، ومغطى بمفارش تقليدية.. لمست الغطاء واستطاعت أن تشم عطر اللافندر الذي فاح فور لمستها.

بدأت تقول بفم جاف: «هذا السرير..».

رد بسرعة: «إنه سرير زواج».

واستطاعت تذوق المرارة في صوته. وقبل أن تسأل عن السبب، استدارت إليه، واتسعت عيناها دهشة.. كان يمد يديه لها. وفاجأها عنف مشاعره. لقد توقعت حرارة الحب والتملك.. لكن ليس هذه الشراسة التي أظهرها وهذا الصمت الذي أطبق عليه قبل أن يضمها..

سمعته يقول بإصرار أجش بعد أن هدّدت قسوة عناقه بأذيتها: «عانقيني.. أنت تعرفين كيف».

أذعنت راضية، لا تريد سواه أبداً.

لم يكن أمامها ما تخشاه.. من أحلامها كانت تعرفه كما يعرفها..

سرى في جسمها توتر، وعرفت أنه يشعر بخجلها، فبدا وكأن الفكرة أسعدته فزاد توتر آني، وأنكرت: «لا.. كيف يمكن لي أن أخاف.. وأنا معك؟».

لكلامها مفعول السحر عليه، إنها أبعد عن سيطرتهما معاً..

كانت عيناه قاتمتين ملتهبتين بلون الليل، بشرة وجهه مشدودة فوق عظامه فأرغمت على لمسها للتخفيف عنه.

تصاعدت من أعماق حنجرته آهة..

وسرت الدماء الحارة في عروقها.

قالت بطيش: «أريدك.. أريدك».

إنه ساحر.. يخطف منها أنفاسها ويحرّك قلبها بجنون.. إنه رجل أحلامها، وانفتحت راحتاها على كتفيه، تتحسس القوة

المنبعثة من هذا الرجل. أخذت تراقب الطريقة التي ارتجف فيها.

قال: «آني.. توقفي.. أنت لا تعرفين ماذا تفعلين بي..».

ثم تأوه.

حتى في أحلامها لم يكن الأمر هكذا. وعرفت أن أحلامها لم تكن سوى صدى مزيفاً للواقع.

الأحلام هي مجرد أحلام.. وها هي.. الحقيقة! ودون أن تفكر بما تفعل، لفت ذراعيها حوله وأراحت وجهها عليه، دموع المشاعر التي كانت تغشي بصرها، انسكبت على بشرته.

ـ لا.

الرفض الحاد في صوته صدمها وأربكها وهو يبعدها عنه.

فنظرت إليه متسائلة، تفتش عن تفسير لرفضه، حبس أنفاسها في حلقها وقلبها يضرب بشراسة فحارت في معرفة ما تريد قوله.

نسيت القبضة الشديدة ليديه على ذراعيها. نسيت وخزة الرفض والصدمة التي أحست بها حين صاح في وجهها وقد بهت وجهه ولمعت عيناه بنظرة عذاب، بحيث لم تستطع إبعاد نظرها عنهما.

كانت كمن ينظر إلى روحه ويرى كل مشاعر الرجولة بضعفها وقوتها: الألم، العذاب، الغضب، الشوق، والرغبة. رأت كل هذا.. وهي تشهد ضعفه، أحست بقلبها يذوب حباً به وحناناً.

لماذا يُظهر مثل هذه المشاعر القوية والمتضاربة في أكثر من طريقة.. وحارت جواباً. ما تعرفه هو أنه بحاجة إلى مواساتها له وإلى عطفها عليه.. ومدت يديها آلياً نحوه.. تريد أن تحيطه وتحميه بحبها، لتهدئه وتطمئنه.

قالت بنعومة: «أحبك. ولطالما أحببتك.. وسأبقى أحبك».

لمع شيء في عينيه، شعور ما، استجابة قصيرة وقوية، تلاشت قبل أن تراها آني.. لكنها سمعت الغضب في صوته وهو يتراجع عنها، ويسأل بوحشية: «كيف يمكن أن تقولي هذا؟».

إنه غاضب.. يتساءل عن حبها.. لماذا، وهو لا شك يعرف أنها تحبه بعمق.

سألته مرتجفة وقد احمر وجهها: «أنت لا تريدني؟».

قال بجفاء: «هل يبدو عليّ أنني لا أريدك؟ بالطبع أريدك. وأنت تريديني أليس كذلك آني؟ أوه.. بلى.. أنت تريديني».

وكان صوته أجشّ وهو يسيطر على الموقف. ومد يده يضمها مجدداً بين ذراعيه.

قالت مختنقة: «أحبك كثيراً.. لم أكن أعرف.. كنت لي مجرد حلم قبل أن.. قبل أن..».

وصمتت لتكمل بصوت أجش: «وظننت أن أحلامي كانت رائعة، من المستحيل أن يماثلها شيء.. ولكنك أظهرْتَ لي كم كنت بعيدة عن الواقع».

وامتلأت عيناها بدموع الحب، ومدت يدها إلى يده، ترفعها إلى شفتيها بحنان وتهمس مرتجفة: «قد يبدو كلامي غريباً ولكنك حبي الحقيقي.. حبي الوحيد..».

ولو أنها تألمت قليلاً لأنه لم يرد عليها بكلمات حب مماثلة، إلا أنها ذكّرت نفسها بأنه أظهر لها حقيقة مشاعره، وحبه، وأن الرجال عادة يخجلون من صياغة مشاعرهم في كلمات.

وأدركت قبل أن تشعر بالنعاس، إنها أكثر امرأة محظوظة في

العالم.

وهو ينظر إلى وجه آني النائم بهدوء، تساءل دومنيك كارلايل متجهماً، كيف يمكن لها أن تنام بمثل هذا الهدوء، دون إحساس بالذنب وبهذه البراءة؟

وبغضب.. استدار عنها.

قد تكون نائمة بسعادة، ولكنه لن يستطيع النوم.. ما الذي تملكه بحق السماء؟ إنها لم تعد تعني شيئاً له. كيف يمكنها هذا؟ وأغمض عينيه، وضغط على فمه بعد أن مرت ذكرى غير مرغوبة لنظرة في عينيها قبل أن تغفو.. بعد أن قامت بتلك الإيماءة غير العادية في الإمساك بيده. وابتلع ريقه بقوة.. كان هذا مجرد تمثيلية.. هذا كل شيء.. مثل كل شيء فعلته.. لا بد أن الأمر هكذا.. فلا مجال لأن يفهم أو يتقبل تصرفها غير العادي.

وهو يسير نحو الحمام، توقف ليدير رأسه نحو السرير وينظر إلى آني وهي نائمة. كانت مستلقية تواجهه، وجسمها مكوّر وكأنه لا يزال يحتضنه.. ولوت ابتسامة ازدراء متوحشة فمه. حتى في نومها تستمر في التظاهر.. لماذا؟ ما الذي يجعلها تفعل هذا؟ كل ذلك الكلام الغبي عن القدر الذي تفوهت به.. كل ذلك.. وتوقف بسرعة. هناك طريقة واحدة ليعرف الحقيقة، عليه أن يسأل آني في الصباح.

فتح باب الحمام واتجه نحو الغرفة، هازاً برأسه، ومتسائلاً كيف تمكنت من التصرف على هذا النحو.. أن تعود بكل بساطة إلى حياته، وتتصرف وكأن شيئاً لم يحدث.. وكأن السنوات الفاصلة لم تكن أبداً.

٤ ـ دهليز الرغبة

جلس دومنيك في الفراش متوتراً.. الساعة الرابعة صباحاً.. وما من طريقة يتمكن فيها من العودة إلى النوم. كان يشعر بالانفعال، وبأنه مشحون جداً، فتفكيره مليء بالغضب والذكريات.

لم يصدق حين رأى آني في المطعم حيث أقام له مدراء الشركة حفل العشاء، احتفالاً بقبوله المركز الذي عرض عليه في شركة «بيتروفيتش» كمستشار للأحياء المائية.. ثم، حين وصلت فعلاً إلى منزله..

هل كانت تعرف أنه سيعود؟ لم يكن ينوي الاحتفاظ بالمنزل.. لكن عمله في الشرق الأوسط أبقاه بعيداً عن بلاده، ومن المنطقي أن يستبقي المنزل بدلاً من بيعه في وقت كانت فيه أسعار الأملاك تنخفض بشدة. وفكّر في قرارة نفسه أنه سيكون غبياً لو رفض فرصة العمل التي ستعيده إلى المكان الذي التقى فيه آني لأول مرة.. وكان من الطبيعي أن يعود إلى المنزل بعد أن تركه مستأجروه.

كيف تمكنت آني أن تعود إلى حياته مجدداً؟ وليس إلى حياته فقط. وبدأت حرارة جسمه ترتفع وهو يتذكر حرارة لقائهما..

لا.. ليس اللقاء.. بل المشاعر التي تشاركا فيها لتوهما.. عناقهما.. كان ببساطة فعل تنفيس.. تنفيس جسدي.. هذا كل شيء. آني.. وأغمض عينيه وبدا الحزن على وجهه.

لقد تصرفت الليلة، وتحدثت، وكأنما.. وكأنما ماذا؟ تحرك دونما ارتياح في الفراش. كانت مفارش السرير تذكره بنعومة ملمسها تحت يديه.. لم يكن يرغب باسترجاع هذه الذكرى.. كل ذلك الهراء الذي قالته عن القدر وعن حبها له.. يستحيل أنها توقعت منه تصديقها.. فمن المستحيل أن تكون ظنت..

رمى عنه الغطاء وأنزل قدميه إلى الأرض ثم سار نحو النافذة.. بعيداً عن السرير حيث آني نائمة.

آني!

لقد مرّت خمس سنوات منذ التقيا أول مرة. كانت في الثامنة عشرة، وهو يكبرها بعشر سنوات. لقد كانت نقطة ضعفه.. فهو الذي وقع بعمق، وقوة، في الحب من النظرة الأولى ولحق بها إلى المنزل المتواضع حيث كانت تقيم.

كانت متوترة في أول مرة تقدم إليها، محاولاً أن يظهر سيطرته على الموقف.. لكنه في الواقع كان غير واثق من نفسه فبدلاً من أن يأخذ بيدها ليحميها، ويحذرها من خطر الاستجابة لرجل مثله، ترك نفسه يقع هو في شباكها.

لزمه عدة زيارات متكررة وكثير من الصبر لإقناعها بالخروج معه.. إلى مقهى فقط، حيث جلسا على طاولة قرب النافذة. كان جزءاً منه يود حمايتها، والجزء الآخر يود اصطيادها. كان يعرف أن المكان الحقيقي الذي يريد فعلاً أن يكون فيه معها، هو مكان

منعزل. ولكنه تقبل إصرارها المتوتر بأن يكونا في مكان عام شأنه كأي رجل متمدن.

تحدثا في ذلك اللقاء الأول عن أشياء مختلفة كثيرة.. الساعة الوحيدة التي انتزعها منها، امتدت إلى أربعة، رافقها بعدها إلى مكان إقامتها، حيث انتزع منها وعداً بأن تراه مرة أخرى.

الوقوع في حب فتاة في الثامنة عشرة على وشك رسم حياتها ـ إذ كانت تدرس في الجامعة ـ لم يكن جزءاً من مخططه، ولكن مشاعره نحو آني كانت مشوشة.

قبل أن يلتقي بها، وقّع عقداً يلزم فيه نفسه بالعمل في الشرق الأوسط مهنياً، كان العقد رائعاً.. فرصة العمر.. التي قبلها بلهفة.

الأشهر القليلة المتبقاة أمامه قبل الرحيل، كان ينوي استخدامها في مسألة إيجار منزله في «ورايمنستر» ومن ثم زيارة بعض الأصدقاء الذين يعيشون في مختلف أنحاء البلاد.

حثه المنطق على بيع المنزل.. فقد كان كبيراً جداً لرجل عازب.. لكنه شأن آني، لم يكن لديه أقرباء.. ولقد ورث المنزل من عمته العجوز.. وبدافع عاطفي شعر أنه يريد أن يستبقيه.

واستدار عن النافذة متجهماً.

خلال أسبوع من لقائه بآني، وقع في حبها بكل طيش وتهور.. وفي غضون أسبوعين، لم يبقَ أمامه سوى خيار الزواج مع ان ضميره حثه أن لا يفعل.

كانت صغيرة جداً.. صغيرة جداً على الالتزام بالزواج، ودونما خبرة تؤهلها الحكم على أي نوع من الرجال تريد أن

تشاركه حياتها. لكنها كانت وحيدة.. وضعيفة. لقد تخوّف من الرفض الذي شاهده في عينيها حين أخبرها أنه سيترك البلاد قريباً. والحقيقة أنه أراد أن يلزم نفسه بها بقدر ما تريد هي.

وهكذا كان فالحب الذي ادعت أنها تكنه له، اتضح أنها مشاعر مراهقة.. فهل تلام لو أخطأت.. أو هل يلام هو؟

وعبس غاضباً.. ماذا يفعل؟ حتى الآن كان يبحث عن أعذار لها.. عن تفسير..

قد تكون صغيرة جداً.. لكن لا بد أنها تعرف أنه ليس مراهقاً وأن مشاعره جدية.. لكن هذا لم يمنعها عن التخلي عنه دون أي تفسير، دون أية فرصة لجلاء الأمور أو حتى لكي يقنعها بالبقاء؟

كان قد راجع مرات عديدة هذه التبريرات ولم يقترب بعد من الحل.. لو أنه كان مخطئاً في استعجالها بالزواج، فهي بالتأكيد كانت مخطئة كذلك في عدم مصارحته بأنها تريد إنهاء الأمر.. كان حتماً سيستخدم شعلة الحب المشبوب بينهما ليقنعها بتغيير رأيها؟ أم تراه يضع احتياجاتها فوق اعتباراته ويتركها تذهب؟

كان سيتركها تذهب. ولكن، ربما كانت آني خائفة من أن يعتمد الحل الأول، وأن لا تتمكن من مقاومته أو مقاومة الرغبة المشتركة بينهما.

لم يكن هناك مجال للشك.. فهو لم يختبر من قبل شيئاً مماثلاً، وربما لن يوفق في المستقبل.. لم يكن راغباً بعد آني في استعادة ذلك الجزء من حياته، لقد تغيرت حياته..

وذكر نفسه بحزم وهو يدرك مسار أفكاره التي تحولت

إليها.. أعادها إلى هذا المنزل لأول مرة بعد مشوار طويل قرب النهر. ووعد أن يعيدها إلى غرفتها وهو ينوي الوفاء بالوعد. لكن السماء بدأت تمطر بغزارة وهما على كيلومترات من المنزل.. لم يكن أحد منهما يرتدي معطفاً، لذا فمن المنطقي أن يأتي بها إلى هنا.

كانت فاغرة الفم لرؤية حجم المنزل، شاهد اللهفة والتحدي في عينيها، وهي تحتج، بأن حذاءها المبتل سوف يترك أثراً على الأرض المصقولة، وجرحه إحساسها بالفوارق بينهما. وفي محاولة لجعلها تسترخي، أخذ يقص عليها تاريخ المنزل ومالكه الأصلي.

وتذكر كم كانت مذهولة بمحفورة «الدلفين» وكيف مررت إصبعها على منحنياته الناعمة، وعيناها تشعان غبطة وهي تدير وجهها إليه مأخوذة بجمالها.

استسلم لمشاعره نحوها. ولم يعد قادراً على المقاومة فأخذها بين ذراعيه بشغف.

كانت فتاة صغيرة في تلك الفترة.. فتاة.. ولكنها لم تكن كذلك هذا المساء.. لا.. إنها الآن امرأة.. امرأة مكتملة.. وأحس بتوترها حين دفنت وجهها فيه..

أصدر دومنيك دمدمة منخفضة متوحشة من أعماقه.. فلا شيء يمكن أن يكبت ذكرياته الآن.

بعد تبللهما خلال النزهة، أصر على أن تبقى وتتناول العشاء معه.

وسألها: «ماذا تحبين أن تتناولي؟».

وخجلت مرة أخرى، فهزت رأسها حائرة.

كان يلاحظ حين كانا يخرجان معاً لتناول وجبة طعام، أنها كانت دائماً تتطلع إليه ليرشدها قبل الاختيار من لائحة الطعام.. لم تعترف له أن تربيتها لم تحضرها لهذا النوع من الحياة، إلا بعد أن ضغط عليها لاتخاذ قرار حول ما تحب أن تأكله في هذه المناسبة ليشترياه.

في السابق، تكلمت باختصار حول طفولتها.. لكنها ذلك المساء كانت أكثر صراحة وجرأة.. وقرر أن هذا سببه الجو المريح الذي ساد العشاء.

والداه ماتا وهو صغير جداً. كان عوزهما إلى الحنان مشتركاً.. لكن جداه كانا ثريين.. رغم أنه لم يعش تحت رعايته بل أمضى حياته في المدرسة الداخلية الصارمة.. وأدرك أنه لم يكن أبداً في الوضع الذي كانت آني فيه، كونها تعيل نفسها.

بعد اعترافها أنها لم تألف نمط الحياة المرفهة التي يعيشها، أصبح حامياً لها. حين أخذها إلى السوق ليشتريا وجبة المساء، راقب عينيها تستديران برهبة وهو يختار مكونات العشاء.

جهلها أظهر لديه غريزة أبوية، لم يكن يعرف أنه يمتلكها، راقبها وهي تجول في المتجر، وشرح لها عن أصناف المأكولات التي انتقاها ولا سيما سبل تحضيرها.

سألت مترددة: «لكن من سيطهوها؟».

وعرف بماذا تفكر، وقال بسرعة: «أنا سأفعل».

قبل لقائه بآني كان يعتبر نفسه عازباً متمرساً.. همه الأساسي

مستقبله العملي. كان حلمه منذ الطفولة أن يكون عالماً في الأحياء المائية، ليحذو حذو أبويه، اللذين عملا وتوفيا معاً وماتا معاً في حادثة غريبة على ساحل «الموريشيوس».

كان يحب النساء طبعاً. ولكنه يحصر نشاطاته مع المحنكات منهن لأنه ببساطة، لا يفتش عن التزام دائم.

مع آني، انقلب رأساً على عقب.. فهو لم يكن يريدها كنزوة، بل يريدها شريكة دائمة في حياته.

عادا إلى المنزل بالطعام الذي اشترياه، وطهى الطعام. كان يحب استدارة عينيها ولمحة البراءة حين جعلها تتذوق ما كان يحضره لهما.

سألته بسذاجة: «ألست جائعاً؟».

فكان يعلّق ممازحاً: «جائع لحبك فقط».

الطريقة التي احمرت بها خجلاً جعلته يصاب بدوار.

بعد العشاء، دخلا غرفة الجلوس، حيث حاورها عن آمالها وأحلامها وقدّم لها حلوى الفريز المغطى بالشوكولا الأسود.

بعد أن أنهت قطعة الحلوى، وضع يديه على وجهها وأحاطه ليبقيها جامدة فيما أحنى رأسه ليعانقها، فركزت عليه نظرة يختلط فيها الشوق والارتباك.

فقال يهدئها: «لا بأس عليك.. لن أؤذيك..».

هو.. يؤذيها هي.. يا لها من نكتة! لكنه لم يكن يحلم يومها بما كان سيجري. لقد بدت ساذجة جداً وجذابة.

بعد شهر من لقائهما أقنعها أن تتخلى عن حذرها معه، لكنه

وصل إلى حافة الجنون، غير قادر على كبت ما يشعر به وهو يلامسها، عير قادر على منع نفسه من تلمس بشرتها الرقيقة الناعمة بلمسة جائعة متشوقة.

بعد ستة أسابيع من أول لقاء لهما، تزوجا. وبعد أسبوعين تركته.

كان صادقاً تماماً معها منذ البداية، حول استلام وظيفته الجديدة في الخليج خلال بضعة أسابيع. كما أكد لها، حين أقنعها أخيراً بالزواج منه، استحالة اصطحابها معه.

سألته بشجاعة: «إذن.. كم ستغيب؟».

ـ عقدي لثلاث سنوات.. ولكن، يمكن أن أحصل على إجازات كثيرة. فسأكون هنا في عيد الميلاد المقبل لمدة شهر، ثم في الصيف لشهرين.. وعلى أي حال، لديك دراستك الجامعية وسيمر الوقت سريعاً!.

سألته: «هل أنت واثق أنك تريد أن تتزوجني؟».

ـ طبعاً أنا واثق.

ولم يدرك لحظتها أنها هي المرتابة.

وكررت السؤال بإلحاح في مناسبة أخرى: «هل أنت واثق حقاً.. أنك تريد أن تتزوجني؟».

ومرة أخرى لم يفهم الإشارة التي كانت تعطيها له، ولم يفهم أنها تريده أن يسأل ما إذا كانت هي تريد الزواج منه حقاً.

بدلاً من ذلك، قال لها بحزم: «بالطبع أنا واثق.. فأنا أحبك».

ـ لكننا مختلفان.

رد ممازحاً: «أجل.. فأنت امرأة وأنا رجل».

قالت بإصرار: «لا.. تعرف ما أعني».

واحمر وجهها وهي تكمل: «في دار الأيتام، علمونا أن الإنسان هو الأهم، وأعرف أن هذا صحيح.. لكن الناس لا تزال تعتقد بأن خلفيتنا العائلية مختلفة.. وأنا.. أنا.. لا أعرف من هما والداي.. و..».

وأسكتها بإصرار: «لا شيء من هذا يهم».

واجهته: «بلى.. يهم.. أصدقاءك، طراز حياتك..».

قاطعها: «ستكونين أنت حياتي من الآن وصاعداً آني».

ذكرته باكتئاب: «أنت تقول هذا.. لكنك لن تكون هنا».

قال دومنيك: «أنا مضطر للسفر، وتعرفين هذا».

وافقت بهدوء: «أجل.. أعرف».

ولعن دومنيك نفسه أولاً لأنه هو المسؤول عن ألمها، وثانياً لأنانيته.

كان يعلم منذ البداية أن لا مجال لإلغاء التزامه في الشرق الأوسط.

حاول مواساتها: «لن يكون الأمر سيئاً. أعرف أنه سيكون صعباً لكلينا، لكن ثمة أزواج آخرين يتمكنون من العيش في مثل هذه الظروف».

ردت باكتئاب أكثر: «أجل.. أحياناً أتساءل ما إذا كان قدري دائماً أن أبقى وحيدة».

ـ لن تكوني وحيدة.

همست: «ربما من الأسهل أن لا يكون للمرء مثل هذه

www.elromancia.com

المشاعر القوية، وأن لا يحب شخصاً كثيراً».

هل بدأت ساعتها بإبعاد نفسها عنه؟ لكنها بدت سعيدة جداً حين تزوجا، وتحبه كثيراً. أم أنه افترض، وبشكل لا يغتفر، أن عمره الذي يزيد عمرها بعشر سنوات، يعطيه الحق بأن يعرف ما هو الأفضل لها؟

السنوات الفاصلة غيّرته.. بفعل الألم العاطفي الذي عاناه.. كان يعرف أنه لن يتفهم كيف تمكنت آني أن تتخلى عنه دون أي تبرير، إلا أن المرارة التي أحس بها أصلاً تغيرت لتصبح قبولاً للواقع. لكن جزءاً ما زال بحاجة إلى الردود على الاستفهامات التي خلفتها على حياته.

عادت أفكاره إلى الماضي.. لقد تزوجته آني.. وكان هناك رسميات تعامل معها طبعاً. وسلطات أبلغها زواجهما.. حتى الخاتم الذي اشتراه لها، اضطر إلى استبداله لأن إصبعها كان رقيقاً جداً ورفيعاً.

وحملها إلى الفراش في أول ليلة زواج لهما وناما معاً والنوافذ مفتوحة بحيث كانا يسمعان همس الليل والنهر.

مع اقتراب موعد رحيله زاد الحزن في عينيها، واختلط مع عذابه لفكرة تركه لها ولعلمه أنه سيكون مسؤولاً عن ألمها، وأنه هو الذي أقنعها بالزواج. ثم جاءت الليلة التي كان لهما فيها أول شجار حاد.

كان يوماً حاراً شديد الرطوبة، وكان غضبه سريع الاشتعال.. كان خائفاً من أن يتركها، وورد في خاطره احتمال فسخ عقده في الخليج ليفتش عن عمل أقرب.. ولكن أين؟ أفي إحدى شركات

النفط العاملة في بحر الشمال؟

في الخليج، سيكون المسؤول عن فريق من الغطاسين وعلماء الأحياء المائية، تستخدمهم الدولة لقياس درجة التلوث في أعماق البحر وأشكال الحياة فيه.. إنها فرصة ذهبية، تأتي مرة في العمر. أن يكون جزءاً من هذا النوع من الأبحاث التي يحلم بها أي شخص في مثل مركزه. كان يود أن ينشر كتاباً عن اكتشافاته ما إن ينهى العمل هناك، وكان يعرف أنه لو أدار ظهره لهذه الفرصة، فلن يحظى أبداً بواحدة مثلها.

لكنه كان كارهاً لفكرة ترك آني. في الأيام الثلاثة الأخيرة، كانت تبكي في منامها ليلاً، وساد بينهما جو من التوتر، بدا أن كليهما عاجز عن تغييره.

على آني أن تبدأ أول فصل دراسي في الجامعة، في الأسبوع الذي سيلي سفره. في ذلك اليوم بالذات، وفي محاولة لاستدراج أفكارها عن سفره الوشيك، أمضيا الأمسية يناقشان معاً خيارات العمل التي ستفتح أمامها ما أن تحصل على درجتها الجامعية.

وقالت له بهدوء: «لست واثقة أنني أريد أخذ مقعدي في الجامعة.. فعلى أي حال، نحن متزوجان الآن و.. سرعان ما سيكون لنا أولاد..».

قاطعها دومنيك بجرأة: «أولاد؟».

لم يخطر بباله يوماً فكرة تأسيس عائلة ولم يناقشاها بعد، فتجربة تربيته، واعتقاده بعدم محبة والدَيْه له يتناقض مع إدراكه للمتطلبات التي قد يضعها العمل في طريقهما.. وأجبر على

الاعتراف بأن ليس كل إنسان ناضج يستطيع تحمل مسؤوليات كبيرة، كالأبوة.

يبدو أن لآني وجهة نظر مختلفة تماماً عن وجهة نظره. وعرف أن عليه جعلها تفهم أنهما بحاجة إلى وقت للتكيف مع علاقتهما قبل أن يناقشا صلاحيتهما كأبوين جيدين.

بكل تأكيد، لا مجال للسؤال عن إنجاب ولد وهو ملتزم بعقد عمله الحالي.. فهو لا يرغب في أن يعاني ذلك الطفل بسببه، كما عانى وهو صغير، أوه قطعاً.. لا..

قالت مصدومة: «أنت لا تريد أولاداً؟ لكن.. لكن لماذا لا؟».

أكد لها بحدة: «لا.. لا.. لا أريد».

أصرت على سؤالها: «لكن، لماذا لا؟».

ولعن دومنيك نفسه للألم وعدم التصديق اللذان سمعهما في صوتها وأخذ يشرح لها مشاعره نحوها بلباقة.

ـ الأبوة ليست مجرد إنجاب طفل آني. إنها..

وكافح يائساً لإيجاد الكلمات المناسبة: «.. إنها مسؤولية كبيرة.. حين ننجب طفلاً نحن لا نعطيه الحياة فقط.. نحن نحمله عبئاً. نحمله أنفسنا، تاريخنا الشخصي.. وفي الوقت الحاضر أشعر أنه ليس ما أريده ولا أريد لطفل أن يحمله.. لدينا بعضنا.. ألا يكفي هذا؟».

صمت قليلاً ثم أضاف يائساً: «لقد تزوجتك لأجل شخصك.. وليس لأجل الأولاد».

وافقت بصوت يكاد يكون متوسلاً: «أجل.. أعرف.. لكن

أحياناً الأشياء تحدث.. وتحمل المرأة طفلاً دون التخطيط له، و..».

رفض دومنيك فوراً: «ما من طريقة.. ليس لنا. أنا لا..».

وصمت، ثم سأل بلطف: «لماذا نتجادل؟ على أي حال، لا يمكن أن تكوني حاملاً».

لقد تأثر كثيراً حين قالت إن الحياة الزوجية ستكون أكثر متعة إذا «لم يستخدم فيها موانع» ونزولاً عند رغبته قررت هي تحمل مسؤولية حبوب منع الحمل.

وتركها تفعل ما تشاء، وأكد لها بحزم: «لا يمكننا تحمل أية حادثة عرضية آني».

احتجت بإصرار عنيد: «لكن لو حصل؟».

قطب وهو ينظر إليها. كان وجهها محمراً وعيناها عنيدتين بشكل غريب، ومتلهفتين. ولم يكن من عادتها أن تجادل معه. فليس لهما وقت طويل متبقي، لذا لن يجادلها حول الحمل..

قال بحدة: «لو حدث.. فسنقوم بالشيء المتعقل طبعاً، نتحمل الخيار الوحيد المسؤول، وننهي الحمل».

شهقت وابيضّ لونها: «إجهاض؟ أتعني أنك ستطلب مني قتل طفلنا..؟».

ـ آني.. بحق الله، توقفي عن هذه السخافات.. حين يصل ذلك الوقت سنجلس معاً ونناقش مسألة العائلة بتعقل، وحتى ذلك الوقت، من الجنون.. من المستحيل لنا أن يكون لنا طفل.. انظري إلى نفسك.. أنت لا زلت طفلة..

ـ لم أكن طفلة حين أردت الزواج مني.. ثم نحن نتكلم عن

طفلي أنا.. طفلي أنا.. وليس طفلك.. وسأقول لك دومنيك ليس هناك مجال أبداً أن أقتل طفلنا أبداً.. وإذا حاولت إجباري.. سوف.. سوف..

- سوف ماذا؟

وتحول صداع رأسه من نبض غاضب إلى ألم يعصف بأعصابه المهتاجة، اضطر معها إلى الصرير على أسنانه لمنع نفسه من الشكوى.

وقالت آني بصراحة: «سأتركك».

- تتركيني؟ بحق الله.. لا تكوني سخيفة.. لم يمض على زواجنا سوى أقل من شهر آني.. وأنت لست حاملاً. و..

أصرت بعاطفة جياشة: «لكن، لو كنت؟ لو كنت ستجبرني على التخلص منه؟ صحيح؟».

تنهد دومنيك: «من المستحيل أن يكون لنا ولد الآن».

- مستحيل؟ لماذا؟ لأنك لا تريد ولداً؟ لأنك..؟

قاطعها دومنيك: «أنت تعرفين الموقف الذي أنا فيه.. لدي مستقبلي العملي لأفكر به آني.. و..».

- أوه.. أجل مستقبلك العملي.. لا يجب أن أنسى هذا.. أليس كذلك؟

وامتلأت عيناها دموعاً: «لا شيء.. لا أحد.. يجب أن يتدخل في مستقبلك الثمين.. أليس كذلك دومنيك؟».

وعرف ساعتها، أوظن أنه عرف، ما هو الخطأ فعلاً.. فهي مثله، تخشى فراقهما.. ولان قلبه على الفور.

وأمرها بصوت أجش: «تعالي إلى هنا».

ومد يده إليها وبدلاً من أن تستجيب، أن تركض إليه وترمي نفسها بين ذراعيه كما كان يتوقع، تعمدت الرجوع خطوة إلى الوراء بعيداً عنه.. وجهها وجسمها يتجمدان ألماً.

- أهذا كل ما تفكر به دومنيك؟ حسن جداً أنا آسفة.. لست في مزاج لهذا.

وسارت مبتعدة، تاركة إياه ممزقاً بين الغضب والعجب.

لم يشاهدها تُظهر مثل هذا الترفع من قبل، ولا هذا العناد.. فكر بهذا بعد أن رفضت كل محاولاته لإقناعها. وفي النهاية، هز كتفيه وقال لها بإشفاق: «لو كنت مكانك آني.. قبل أن أفكر بإنجاب طفل كنت سأتفحص مدى نضوجي أولاً..!».

تلك الليلة، ولأول مرة منذ الزواج، ناما متخاصمين. عدة مرات حاول دومنيك مد يده إليها واحتضانها لإنهاء خلافهما. كان يرغب بالقول لها كم يحبها وكم هو خائف أن يفترق عنها. لكن، طبعه العنيد طغى على ضعفه.. جزء منه يحتاج أن تكون هي التي تلجأ إليه، تستدير نحوه، لتُظهر له أنه مرغوب، وأنه يعني لها أكثر مما يعنيه ذلك الطفل الذي لم تحمل به بعد، والذي تجادلا بحرارة وبشكل مؤلم، حوله.

لكنها لم تفعل، وفي النهاية، وبسبب الألم في رأسه، لجأ إلى الأقراص التي وصفت له خلال نوبات الصداع، والنتيجة كانت أنه غط في النوم حتى الصباح التالي.

حين تمكن أخيراً من جر نفسه، كانت آني قد رحلت.

رحلت دون رجعة.

في البداية، افترض أنها ذهبت إلى المدينة لشراء بعض

الحاجيات. لكن موعد الغداء حل وحان وقت الشاي، وأخيراً بدأ يستوعب أنها قد لا تعود.

فتش البلدة عنها، والجامعة. لكنه لم يجد أي أثر لها.

في النهاية، وبيأس، زار البيت الذي كانت تسكن إحدى غرفه حين التقاها أول مرة، لكن المرأة التي تدير المكان، كانت مسافرة في عطلة مع زوجها، وتركت ابن عمها مسؤولاً، لكنه لم يتعرف على وصف لآني.

لم ينم تلك الليلة، ولا الليلة التي تلتها. كان يتوقع أن تعود.. ولكنها لم تفعل.

مرّ يوم، تلاه أسبوع، دون أي أثر لها. ودون أي خبر عنها. وبدأ دومنيك التفكير بما لم يكن يستطيع التفكير به. لقد تركته آني.. بسبب جدال سخيف.

إنها في الثامنة عشرة، لا تزال طفلة.. حاول أن يذكر نفسه. أما ردة فعلها على شجارهما فيمكن تبريرها.. ستعود ما أن يتوقف غضبها.. فحبهما أقوى من المحن.

مرت عشرة أيام.. وخلال رحلته إلى الشرق الأوسط، كان لا يزال غير قادر على تقبل فكرة هجرها له فعلاً، وأنها لم تكن تلعب معه لعبة سخيفة لتعاقبه. وبقي حتى لحظة النداء الأخير لرحلته متوقعاً ظهورها، راكضة إليه، لتقول إنها أخطأت، وإنها تحبه.

حتى في تلك اللحظة، لم يفقد الأمل، وطلب من وكيل الأملاك، والزوجين اللذين استأجرا المنزل أن يعلموه باتصالها.

لكنها بالطبع لم تفعل. وفي النهاية كان عليه أن يتقبل أن سبب مغادرتها هو الندم على زواجهما الذي اعتبرته غلطة في الأساس.

لم يزعج نفسه بالعودة إلى المملكة المتحدة مع حلول الميلاد تلك السنة. فما الفائدة؟ واحتفل بعيد ميلاده في شهر آذار (مارس) وحيداً، وكل أعياد الميلاد التي تلت، إضافة إلى ذكريات سنوية أخرى: ذكرى أول لقاء لهما، ذكرى لقائهما في منزله، وذكرى زواجهما.

ومرت السنوات ومعها الصدمة.. لعدم معرفته سبب رحيلها دون تفسير. أقنع نفسه بأنه لن يفقد الألم أبداً.. لكن آخر شيء كان يتوقعه، هو أن تعود بكل بساطة إلى حياته.. إلى بيته.. وكأن شيئاً لم يحدث.. ودون إنذار مسبق.. ودون أي تفسير حقيقي، أو اعتراف بما فعلته. ولم يتصور بكل تأكيد، أن تتصرف بمثل هذه الطريقة الغريبة.

وتوتر جسمه الآن، وهو يقاوم الشوق المؤلم الذي ملأه في الماضي عندما كانا حبيبين، كان هو المعلم والمنظم.. لكن، الليلة.. وبمرارة الرجل الذي أحب امرأة أكثر مما أحبته، صرّ على أسنانه أمام شراسة غيرته، لفكرة العلاقات التي لا بد أنها أقامتها في غيابه.

كل ذلك الهراء الذي قالته عن القدر وعن أنهما خلقا لبعضهما، كان سخيفاً. لا يمكن أن تتوقع منه أن يصدقها! إذاً، لماذا لم يقل شيئاً لإيقافها.. ولإيقاف نفسه؟ حتماً لأنه رجل. هي لا تعني له شيئاً على المستوى الشخصي الآن.. وأول شيء

سيفعله حين تستيقظ هو أن يطالبها بتفسير لظهورها مجدداً في حياته.

أجل.. وسيطالبها ثانياً بالطلاق!

* * *

٥ ـ لا تهربي

استيقظت آني مجفلة. تطلعت بسرعة حولها في غرفة النوم قبل أن تبتسم ارتياحاً وهي ترى الطيف المألوف للرجل الطويل الواقف أمام النافذة.

وتنفست بسعادة: «لم يكن هذا حلماً».

نظر دومنيك إليها.. ما الذي تحاول لعبه بحق السماء؟ حسن جداً، يستطيع هو كذلك أن يجادلها.

فقال بنعومة: «لا.. لم يكن حلماً، ولدي إثباتات. أتريدين معرفتها؟».

وفيما هي تحمر خجلاً، وتغمض جفنيها، اعترف لنفسه أنها ممثلة ممتازة.. فحتى هو، الذي يعرف الحقيقة، لا يزال قلبه يخفق بضربات غريبة وهو يقاوم الإغراء بالاقتراب منها.

قسا قلبه، وتحضر ليقول لها إنها تضيع وقتها في محاولة خداعه.. لكن، قبل أن يستطيع قول شيء، قالت آني بخجل: «أعرف أن هذا يبدو سخيفاً.. لكنني لا زلت لا أستطيع أن أصدق أن كل هذا حقيقي.. وأنك أنت وأنا حقيقيان».

سألها دومنيك بأدب: «وماذا تريدين أن أفعل لأثبت هذا لك؟

www.elromancia.com

هل أتقدم إليك و..».

وصمت فجأة، وهو يدرك أن كلماته التي صمم أن يضعها في مكانها الصحيح، ارتد تأثيرها على نفسه، بينما كان عقله مشتتاً بين نواياه وأحداث الليلة السابقة.

قد يكون جسمه ضعيفاً، لكن مشاعره ترفضها بكل تأكيد.. لسبب ما وجد نفسه يقترب أكثر فأكثر نحو السرير، ونحو آني.. ربما لأنه كان يريد التأكد أن لا مجال لها للتهرب حين يواجهها ويطلب تفسيراً لتصرفها.

قالت بهدوء: «يجب أن أخرج من السرير حقاً، لا بد وأن لديك أشياء تفعلها. و..».

قاطعها بعدوانية: «وأنت كذلك. ماذا تفعلين بحياتك آني؟».

للحظة، بدت مجفلة، لكن تصرفها وهي تجمع غطاء الفراش حولها كان هادئاً ورابط الجأش، إلى حد أن دومنيك أحس بومضة إعجاب نحوها.

قالت مترددة: «أنا.. أعمل بدوام جزئي لشركة «بيتروفيتش».

أجفل دومنيك.. دون شك، هذا يفسر كيف عرفت بعودته إلى المنطقة.. لا بد أنها سمعت في المكتب عن تعيينه الجديد.

سأل ساخراً: «دوام جزئي؟».

لكن، لم يبدُ أن آني سجلت الازدراء في صوته، لأنها تجاهلت ما قال. وردت بصوت أجش: «أوه.. إنه حلم يتحقق.

لم أفكر يوماً بأن هذا يحصل لي.. ثم، حين رأيتك في المطعم تلك الليلة.. لم أتصور أن يحدث هذا».

وهي تتكلم، مدت يدها تلامس يده، وتعبير وجهها مليء بالفرح المشرق، وجسمها كله يرتجف بشكل ظاهر وهي تكمل همساً: «يقول الناس إن الواقع لا يمكن أن يماثل أبداً ما يتوقعه المرء في أحلامه.. أعلم الآن أنهم مخطئون.. فأنت واقعي.. أنت..».

وصمتت.. تبتلع ريقها بشكل ظاهر وهي ترفع رأسها وتركز نظرها عليه.. عيناها واسعتان قاتمتان بشعور بدا حقيقياً بحيث اضطر دومنيك أن يذكر نفسه من هي.. وكم من المستحيل عليها أن تعني كلمة مما تقول.

قالت مؤكدة: «أنت.. أكثر.. بكثير من.. مما حلمت أن تكون.. لا أستطيع أن أصدق حتى الآن، أنني وجدتك.. وأن القدر اختارنا لبعضنا.. أشعر..».

وصمتت تبتلع ريقها.. وعيناها نصف مغمضتين بسبب مشاعرها. أحس دومنيك أنها تخدعه فيما أردفت هي بصوت أجش: «أشعر.. أنني في نعيم.. فليلة أمس..».

وشدت يده نحوها حتى جلس على السرير: «.. كانت الأكثر روعة في حياتي».

وسمع دومنيك الغصة العاطفية الصغيرة في صوتها قبل أن تكمل: «أنت جعلتني سعيدة.. أحبك كثيراً.. أنا..».

حين علقت الكلمات في حلقها لشدة انفعالها، ذكّر دومنيك نفسه أنها تمثل.. تكذب..

وسمعها تقول بصوت خشن وضحكة مكبوتة: «أوه.. عزيزي.. أعتقد أنني سوف أبكي، والرجال يكرهون النساء الباكيات.. أليس كذلك؟».

لطالما أحب دومينيك روحها المرحة بقدر ما أحبها هي. ولكنه أدرك أنها كمن تهديه سمكاً في البحر.. فجذب نفسه عنها.

وأعلن فجأة: «أنا جائع.. سأنزل إلى الطابق الأسفل لأحضر الفطور».

من المنطقي أن ينتظر حتى يكونا في مكان عملي، قبل أن يواجهها.. حاول أن يقف. ولكن، بدلاً من أن تتركه تعلقت بحنان في ذراعه.

قالت هامسة: «وأنا جائعة كذلك.. لك».

احمر وجهها فاستدار لينظر إلى بشرتها الوردية. لا بد وأن يكون ذلك مصطنعاً، أو هكذا أقنع دومنيك نفسه.

فسألها بغضب: «هل ترغبين بي؟».

ثم، وقبل أن ترد، ودون إعطاء نفسه الوقت ليحلل غضبه أو ردة فعله، عاد ليجلس إلى السرير ومد يديه إليها، ليلفها بقوة بين ذراعيه، وعانقها بقساوة أفحمتها.

بحب، مدت يدها إليه ثم أجفلت مصدومة وهو يبتعد عنها حانقاً: «لا!».

قالت تمازحه: «أنت تريد الفطور أولاً.. أليس كذلك؟».

وابتسمت له.. ثم سمعته يقول: «سأنزل لأحضره».

ونزل عن السرير، واستدار بعيداً عنها، متجهاً إلى باب غرفة

النوم.

راقبته آني يذهب.. يغمرها إحساس بالرضى.. لذكرى الليلة الحميمة التي تشاركاها.

للغرفة حمام خاص وجدته بسرعة، وكأنها تعرف مكانه. هذا المنزل مألوف لها، حتى أنها في ظروف أخرى كان يمكن أن تجد ألفتها بالمكان مخيفة قليلاً، ولكنها عزت الأمر إلى القدر.

ما إن نزلت إلى الطابق السفلي، حتى تعرفت بسهولة على المطبخ، وهذه المرة ليس بالحدس فقط بل عبر رائحة القهوة الطازجة الممزوجة بالبيض واللحم.

قال: «لقد خفقت لك البيض.. فأنا أعرف أنك تفضلينه هكذا».

أجفلت آني وهو يشير إلى مقعد، ووضع طبقاً من الطعام الساخن أمامها.

همست: «أنا.. لا أتناول طعاماً مطهواً أبداً.. ما عدا..».

فقال لها دون أن تكمل: «.. ما عدا في أعياد الميلاد ومناسبات أخرى خاصة.. أعلم».

قالت ببطء: «لا أصدق أنك تعرف الكثير عني ونحن لم نتقابل قبل الآن».

وصمتت بابتسامة مشرقة تنير وجهها وهي تكمل برضى: «أنا مسرورة جداً لأننا وجدنا بعضنا وأنك تحبني».

سأل دومنيك متجهماً: «وجدنا بعضنا.. توقفي عن التظاهر آني.. لقد انتهت اللعبة.. أما بالنسبة لحبي لك.. ماذا تظنينني

بحق السماء؟ أي نوع من الحمقى تخالينني؟ هناك سبب واحد لما حصل بيننا ليلة أمس، ولا دخل له بالحب أبداً. بكل بساطة، لقد استجبت إلى حاجة الرجل القديمة إلى التواصل».

وصمت منتظراً ردها.

نظرت آني إليه بذهول.. وبدأ قلبها يخفق بسرعة مؤلمة داخل صدرها، وانقطعت أنفاسها.

قالت بألم: «لست أفهم.. ماذا تقول..؟ ماذا تعني؟ أنا..».

ـ أوه.. هيا آني.. كوني واقعية.. كل هذا الهراء عن القدر.. يا إلهي.. كم أنت باردة. تعودين إلى حياتي.. تزحفين إلى فراشي، وكأن السنوات الخمس لم تنقض.

أحست آني وكأن ثقلاً ضخماً، يرزح على صدرها ويبعث فيها الخوف والألم.

قالت بصوت متكسر حين أجبرت نفسها أخيراً أن تتكلم: «أرجوك.. أنا لا أفهم».

فسأل متوتراً: «ألا تفهمين؟».

كان صدره يعلو تحت ضغط أنفاسه، لكن خوفها منه كان لغزاً بالنسبة لها. وكأنما لا طاقة لها لتفهم وهي تحارب الصدمة التي تعانيها.

ـ وهل تظنين أنني تفهمت تخليك عني.. عن زواجنا؟

زواجهما!

دون أن تعرف ماذا تفعل، وقفت.. ثم شهقت حين أحست بالغرفة تميد من حولها.. وفي تلك اللحظة، سمعت صوتاً خشناً

يتكلم بحدة: «لا.. لن تفعلي.. لن تتهربي بالتظاهر بالإغماء آني.. آني..».

وسمعته يكرّر اسمها بغضب وهي تنزلق في الظلمة التي كانت تكتنفها.

حين استعادت وعيها، كانت جالسة على مقعد مريح في غرفة جلوس كبيرة ذات أثاث جميل مثل بقية الغرف في المنزل.

إحساس رهيب بارد كالثلج، وغير مرغوب به، الخوف... بدأ يسيطر على قلبها الضعيف. بدت حائرة وكأنها تعيش كابوساً مزعجاً.

همست: «أنا.. نحن.. لا يمكن أن نكون متزوجين.. أنا.. أنا لا أعرفك.. حتى أنني لا أعرف اسمك..».

للحظة، ظنت فعلاً أنه سيضربها. لكن حين أجفلت منه، تراجع عنها، ورمى رأسه إلى الوراء ليضحك بوحشية.

ـ أوه.. يا إلهي.. الآن سمعت كل شيء.. ليلة أمس كنت تدّعين أنني شخص أرسله لك القدر. حبك الوحيد الحقيقي.. والآن، تحاولين القول لي إنك لا تعرفين من أنا.. أخبريني شيئاً آني، هل اعتدت على مصاحبة رجل لا تعرفينه؟ هل هذا جزء مجهول من شخصيتك لم أعرف بوجوده من قبل؟ هل توقفت ولو لمرة واحدة، لتفكري كيف كنت أشعر؟ كيف..

أحس دومنيك نفسه يتصبب عرقاً، وعرف أنه يقترب من فقدان سيطرته على نفسه. تحوّل الموقف إلى مأساة.. لكن، ماذا يمكن أن يعنيه الآن، عدم حبها له؟

أحست آني بالألم يتصاعد داخلها.. فالإحساس الرهيب

www.elromancia.com

بالخوف الذي لا يمكن السيطرة عليه، عاد إليها مجدداً، إنه عالم مرعب حيث كل مخاوفها تتحقق فيه.

كرّرت بفم مرتجف: «لا يمكن أن نكون متزوجين.. لا يمكن أن نكون..».

ـ هل تريدين أن أثبت هذا لك؟ حسن جداً...

تجاوزها وتقدم إلى منضدة أثرية في زاوية الغرفة.. وفتح درجاً ليخرج منه علبة صغيرة أخذ منها ورقاً جاء به إلى آني ومد يده يقول ببرود: «اقرأي هذه».

وخفق قلبها مجدداً.. وامتثلت. وبدا لها أن دمها قد تجمد في عروقها.. وتحولت يداها إلى برودة الموتى، وأخذ رأسها يؤلمها.

ببطء وتأنٍ، قرأت الكلمات المكتوبة على الوثيقة، ثم رفعت عينيها بسرعة لتنظر في عيني الرجل الذي يواجهها، قبل العودة إلى القراءة.

جلّ ما استطاعت أن تقوله حين عاد إلى طي الورقة: «اسمك دومنيك».

كان فمها جافاً، وقلبها يخفق بشدة. هناك الكثير من الأسئلة تريد أن تطرحها عليه، لكنها كانت خائفة.. خائفة من رده.

لقد ذكر لتوه مرتين أنها تخلت عنه، واختفت.. فأي نوع من العلاقة كانت بينهما لتجعلها تفعل هذا؟ وعرفت بالبديهة أن ليس من عادتها التخلف عن أي نوع من الالتزام الذي يشمله الزواج.. إذاً، أي نوع من الزواج كان.. وأي نوع من الرجال هو؟ ذلك

النوع الذي يرضى بالمرأة التي تخلت عنه، كما فعل معها ليلة أمس؟

قالت دون ثبات: «لا أستطيع البقاء هنا.. يجب أن أذهب».

لكن دومنيك وقف يسد أمامها طريقها.

قال بغضب: «لا مجال.. لا مجال.. ليس قبل أن تقولي لي لِمَ فعلت هذا آني.. لماذا تركتني».

وصمت قليلاً، ثم أردف قائلاً: «يا إلهي.. هذا أقل ما تدينين لي به، خاصة بعد تلك التمثيلية المثيرة للإشفاق.. التي أديتها ليلة أمس».

وتنهد مقلّداً إياها: «لقد أردتك كثيراً.. هذا هو القدر».

أجفلت آني لسماعها المرارة الحادة التي تدل على احتقاره.. ماذا يمكن أن تقول؟ كيف يمكن أن تشرح.. كل كلمة قالها اخترقت مشاعرها الحساسة.

حاولت الدفاع عن نفسها: «لا بد وأن المسألة.. لا يمكن أن أكون..».

وصمتت.. بكبرياء وقد منعتها الصدمة من أن تقول له عن أفكارها المشوشة وأحلامها. هل ما يحصل لها حقيقة؟ أم أنها تحلم؟ هل..

سخر منها دومنيك: «لا بد وأنك ماذا؟ ألا تتذكرين؟».

وابتلعت آني ريقها بصعوبة.

وقالت بهدوء، رافعة عينيها نحوه: «لا.. في الواقع. لا أستطيع».

حدق أحدهما بالآخر بصمت لعدة ثواني متوترة، قبل أن يتفوه بالشتائم متجنباً النظر إليها وسأل بحدة: «أي نوع من الردود هذا؟ أي نوع من الأغبياء تظنيني آني؟ كل لمسة، كل كلمة، تتذكرينها جيداً. كل مداعبة وقبلة عنت يوماً ما شيئاً لي..».

ـ لم يكن هذا متعمداً..

ما قاله مؤلم جداً.. ورغبت يائسة بالابتعاد، بأن تخلو بنفسها لتستوعب جيداً ما قاله.

لكن دومنيك قال بحدة بعد أن استغلت انفعاله محاولة الوصول إلى الباب: «هاي! إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟».

لكنها فتحته و... ركضت بأقصى سرعتها. كادت تصطدم بساعي البريد وهي تفتح الباب الأمامي.

أخذ دومنيك يشتم حين لوح له رجل البريد بالمغلف، مطالباً بتوقيع لاستلام.. سمع صوت محرك سيارة آني، والحصى يتطاير من حولها، قبل أن تنطلق بسرعة جنونية.

لقد نجحت.. بالفرار.. وأخذت آني ترتجف وهي تقود السيارة إلى الطريق الرئيسية.. لكن، ما من طريقة ستوقفها الآن.. ليس قبل أن تبتعد، وتعود بأمان إلى منزلها الصغير.

كانت الدموع تنهمر على وجهها، وقلبها يخفق بقوة.. إنها ليست آني وايت.. بل السيدة دومنيك كارلايل.. امرأة متزوجة من رجل أحلامها..

عندما أوقفت سيارتها أخيراً خارج منزلها، كانت تضحك بجنون هستيري.. أسمته رجل أحلامها.. ولكنها بالنسبة له أسوأ كوابيسه!

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ في الذاكرة

ـ لقد أمضينا وقتاً رائعاً.. ويقول بوب إن علينا حقاً الذهاب إلى هناك مرة أخرى.. وقلت له..

وصمتت هيلينا بقلق بعد أن أدركت أن آني لم تكن تصغي إليها.

وسألت: «ما الأمر؟ ماذا جرى؟».

بدأت آني تقول: «أنا..».

وكانت تنوي أن تنكر.. فهي امرأة ناضجة.. وقادرة بالتأكيد على التعامل مع مشاكلها. غير أن ليلتين من النوم المتقطع بعد صدمة اكتشاف أنها متزوجة، قضتا على قوة إرادتها.

فقالت لهيلينا باكتئاب: «لقد عرفت لماذا كان دومنيك، ذلك الرجل في المطعم، مألوفاً لي».

وبلهفة متزايدة، وضعت هيلينا فنجان القهوة من يدها، وانتظرت. نهضت آني عن طاولة مطبخها الصغيرة لتسير نحو البراد.. صبت لنفسها كوب ماء لترطب حنجرتها الجافة، قبل أن تتابع بصوت أجش: «إنه زوجي».

صاحت هيلينا بذهول: «ماذا؟».

ـ هذا صحيح.. لقد أراني وثيقة زواجنا.

بعد نصف ساعة، تمكنت آني من إخبار القصة الكاملة لما حدث بينها وبين دومنيك أو معظمها! فثمة أمور لم تستطع إجبار نفسها على الإقرار بها حتى لنفسها، فكيف بالأحرى أمام صديقتها.

واستفسرت هيلينا: «هل أخبرته عن حادثتك؟».

هزت آني رأسها نفياً: «لا.. لم أفعل. لم أستطع.. قال إنني تخليت عنه. و.. أنا.. لا أعرف لماذا تزوجني هيلينا..».

ـ وماذا عنك؟ ما هو شعورك نحوه؟

اعترفت آني: «لا أعرف. كانت صدمة قوية.. ولا زلت غير قادرة على التصديق..».

قالت هيلينا بحزم: «يجب أن تقولي له عن الحادثة».

احتجت آني: «هيلينا.. لا أستطيع.. ولأكون صادقة لا أظنه مستعداً لتصديقي. أشعر بالغباء.. كل تلك الأشياء الغبية التي أحسست بها وقلتها عن رجل أحلامي، عدة مرات، وطوال الوقت..».

ـ إنه زوجك.

هناك سؤال واحد هام تريد هيلينا أن تسأله، بغض النظر عن مدى تعاسة آني:

ـ حين قال.. دومنيك، لك إنكما متزوجان هل.. هل..؟

ـ هل تذكرت شيئاً؟ لا.. لا شيء.. وأتمنى لو أنني فعلت.. لكنت على الأقل..

ونهضت عن الطاولة، وبدأت تذرع المطبخ الصغير.

ـ يجب أن أتذكر ما حدث هيلينا.. يجب أن أتذكر..

وحتى ذلك الحين.

توقفت، وفي صوتها وعلى وجهها إمارات عذاب شديد دفع هيلينا لمواساتها وطمأنتها.

وأكملت: «لماذا أفعل شيئاً كهذا؟ لماذا أتخلى عن رجل يفترض أنني أحبه، وعن زواجنا؟ لا أستطيع أن أصدق.. يجب أن أعرف الحقيقة.. وإلا..».

سألتها هيلينا: «ألم يشر دومنيك إلى سبب تركك له؟».

ـ أنا.. كان غاضباً جداً مني..

ورأت هيلينا كم كانت آني مكروبة، ولم ترغب أن تضعها تحت المزيد من الضغط. لذا، وبدلاً من سؤالها المزيد بدأت تهدئها ولكنها سراً، قررت أن يعرف زوج آني الحقيقة عن حادثتها.. وإذا لم تشعر آني بالقدرة على القول له، فستقوم هي بذلك.

بعد ذهاب هيلينا، غسلت آني فنجاني القهوة، محاولة منع يديها من الارتجاف.. ليلتان متوترتان من السهاد أخذتا منها مأخذهما.. لكنها كانت تعرف أنها لو حاولت النوم الآن فلن تتمكن.

أكدت لنفسها بعناد: «ما تحتاجين إليه يا فتاتي هو قليل من التمرين السريع على الأقدام». في أعماقها سمعت صوتاً آخر، أكثر حدة وأقل راحة، يقول لها إن ما تحتاجه أكثر من أي شيء آخر، هو أن تتمكن من تذكر تلك الأسابيع الضائعة.. تلك الفترة المشوشة في ذهنها... لن تكون في موقع قوة ضد اتهامات دومنيك قبل أن تدحض مزاعمه.

علمت هيلينا من شركة «بيتروفيتش» أن دومنيك يعمل في الوقت الحاضر من منزله وقررت زيارته دون إنذار مسبق بوصولها، في حال رفضه رؤيتها.

كان منزله مؤثراً جداً.. تساءلت وهي تنزل من السيارة وتسير نحو الباب الأمامي.. لماذا تركت آني زوجها وبيتها؟ وحده دومنيك كارلايل يمتلك المفتاح الذي يمكن أن يفسر اللغز. كانت واثقة من هذا، هل ثمة معلومات يخفيها، أم أنه فعلاً، كما أوحى لآني، لا يعرف الأسباب الداعية لهجرها إياه، كما يدعي؟

بحزم، ضغطت هيلينا جرس الباب، وانتظرت قليلاً. فُتح الباب:

ـ دكتور دومنيك كارلايل؟.

ـ نعم؟

وقطبّت قليلاً وهو يتفحص التعبير الجامد على وجه زائرته غير المتوقعة.

قدمت هيلينا نفسها: «أنا هيلينا ليقر. طبيبة آني وصديقتها».

سأل دومنيك: «طبيبتها؟».

وزاد عبوسه وهو يدعوها للدخول، ويقفل باب الردهة نحو الغرفة التي كان يعمل فيها، ثم يقودها إلى غرفة الجلوس.

قالت هيلينا: «آني لا تعرف أنني هنا.. ولكن، كان عليّ أن أراك، فهناك شيء يجب أن تعرفه».

تفرس دومنيك بها ملياً. فهي تحمل إمارات المرأة المحترفة.. إنها طبيبة آني، كما قالت له، وفجأة أحس برجفة برد تنذر بالسوء..

فسأل فجأة: «هل هي مريضة؟».

ردت هيلينا: «ليس جسدياً».

اللهفة والاهتمام اللذان سمعتهما في صوته أجفلاها بطريقة ما. فمن وصف آني لما حدث، توقعت أن يكون أكثر عدوانية.

ـ لقد كانت آني ضحية حادثٍ خطير نتج عنه فقدانها الذاكرة.. ولهذا...

وتوقفت هيلينا عن الكلام بعد أن قاطعها دومنيك بلهفة: «ماذا تعنين بحادثة خطيرة؟ نحن..».

وشرحت له هيلينا بوضوح، منهية كلامها: «حين قالت لك آني إنها لا تعرف أنك زوجها، كانت تقول الحقيقة.. فليس لديها ذاكرة للأسابيع التي سبقتها.. وإذا لم تكن تصدقني فهناك سجلات طبية».

هز دومنيك رأسه.

لقد صدقها، ولكنه كان لا يزال مصدوماً من النبأ الذي لم يتوقعه.

سألها بخشونة: «ولماذا لم تقل لي آني شيئاً.. لماذا لم تخبرني؟ لو انها..».

قاطعته هيلينا بحزم: «هل كنت ستتسلط عليها وتهددها كما فعلت؟. لا.. أنا واثقة أنك ما كنت لتفعل. فما من رجل حقيقي يتصرف بهذه الطريقة.. أليس كذلك؟».

رأت هيلينا من الاشتعال في نظرته ومن تغير لون وجهه وخطوط فكه أنها أوضحت له تماماً قصدها.

وقال معترفاً: «ربما أكون بالغت في ردة فعلي.. ولكن، هل

لديك فكرة عما حدث لي حين تركتني واختفت؟».

قالت هيلينا نادمة: «لا.. لكنني أعرف ما فعله هذا بآني، حين صرعت في الشارع وتركت فاقدة الوعي، وحين عادت إلى وعيها، اكتشفت أنها لا تتذكر قسماً كبيراً من حياتها..».

سأل دومنيك بخشونة: «متى.. متى حدث ذلك.. الحادث؟».

راقبت ردة فعله لتعليقها، ووجدت هيلينا نفسها تميل قليلاً نحو دومنيك.

ـ يوم الثلاثاء في الثامن والعشرين من شهر أيلول قبل منتصف النهار بقليل، حسب إفادة الشهود.. فالتاريخ والزمن محفوران في ذاكرتي.. ولقد سمعتهما العديد من المرات، بما يكفي وأنا جالسة خلال المحاكمة للحصول على تعويض مناسب لها عن إصابتها.

وشحب وجه دومنيك: «لقد غادرت طائرتي مطار هيثرو بعد ظهر ذلك اليوم.. إنه موعد محفور في ذاكرتي. وإلى أن أعلن عن الرحلة، كنت لا أزال آمل أن تظهر.. كانت غائبة لعشرة أيام.. تقولين إن لا ذاكرة لها.. عن زواجنا.. عني؟».

استطاعت هيلينا أن ترى كم كان صعباً عليه قول هذه الكلمات، واستطاعت أن تخمن كم ستجرح كرامته بردها.

قالت بهدوء: «لا.. لم تكن تتذكر شيئاً».

أصر بعناد: «لكنها تعرّفت علي».

اضطرت هيلينا أن تعترف: «هذا صحيح بطريقة ما.. لقد تعرفت عليك. لكن ليس كشخص حقيقي.. ليس..».

قاطعها: «ليس كزوج لها.. هل من المحتمل أن تعود ذاكرتها؟ ألا يمكن عمل شيء..».

- لا أحد يستطيع التنبؤ إذا كانت ستعود أم لا.. أما بالنسبة لما يمكن أن تفعله.. أتعتقد حقاً لو كان هناك شيء.. يمكن لآني أن تفعله لتتذكر، ألن تفعل؟.

وهز رأسه نفياً، ثم أكملت: «حين كنا نتكلم عنك، وعما حدث، قالت لي إنها تضحي بأي شيء، لتتمكن أن تتذكر.. أعرف أنك ستصدم، لكن حاول، لو استطعت، أن تتصور كيف هو الأمر معها. فهي لم تمض آخر خمس سنوات تتساءل فحسب، قلقة حول الفترة الضائعة من ذاكرتها، بل إنها الآن مضطرة للقبول باكتشافها أن لها زوجاً لا تستطيع أن تتذكره، وأنها تركته دون أن تعرف لماذا.. أؤكد لك دكتور كارلايل، أن آني، ببساطة، ليست من النوع الذي يتخلى عن أي التزام يُعتبر مهماً كالتزام الزواج، دون أن يكون هناك سبب وجيه جداً.. جداً».

وكتمت أنفاسها وهي ترى الطريقة التي تغير فيها تعبير دومنيك من الاهتمام إلى الغضب، وهي تكمل: «ربما تعرف السبب أكثر مما أنت تدعي».

- لا علم لي بأي سر حول سبب هجرها لي. لقد تشاجرنا، أجل، مجرد جدال سخيف أحمق حول ما إذا كنا ننوي أن ننجب أولاداً في المرحلة القادمة من زواجنا.

ورفعت هيلينا حاجبها: «وهل تعتبر مسألة الأبوة تافهة؟».

دافع دومنيك عن نفسه فوراً: «لا.. لا أعتبرها هكذا.. بل

العكس.. فطفولتي علمتني مدى احتياج الولد إلى محبة وحنان والديه. لقد كان هذا مجرد شجار.. وسببه كما أعتقد، أننا كنا سنفترق قريباً».

ثم سأل هيلينا فجأة: «كيف حال آني؟ لقد بالغت في ردة فعلي نتيجة تصرفها نحوي.. من دون أن أعرف عن حادثتها».

أبلغته هيلينا: «إنها مصدومة جداً.. لكن لديها كذلك الكثير من العزم ولو لم تكن هكذا لما تمكنت أن تعيش».

ونظرت إلى ساعتها.. لقد حان وقت ذهابها.

قالت لدومنيك: «آني بحاجة إلى تفهمك، لا إلى عدائيتك».

وترددت قليلاً: «أنا لم أذكر هذا لآني، لأنني لا أريد أن أثير آمالها.. قد يحرك ظهورك شيئاً يمكن أن يجعلها تتذكر».

كان دومنيك منشغلاً بتقرير معقد حين وصلت هيلينا. بعد رحيلها أدرك استحالة العودة إلى العمل. ولو انه حاول جهده لإخفاء مشاعره عن هيلينا، إلا أن كلامها شكل صدمة إلى حد أنه عاجز عن فهم ما قالته.

فكرة تأذي آني، وبقائها في المستشفى وحيدة، خائفة متألمة، مشرفة على الموت.. ملأته بغضب وألم لم يستطع معهما البقاء دون حركة، فأخذ يذرع أرض غرفة الجلوس.. لماذا لم تقل له شيئاً؟ لماذا لم تشرح له أنها كانت تعاني فقدان الذاكرة؟ لربما كان تفهم كلامها عن القدر.

لكان ماذا؟ لقد فات الأوان للندم الآن.. أو التمني..

إنه لم.. لم يستغلها؟ على ضوء ما قالته هيلينا، لقد كان تصرفه أقل بقليل من القسوة الظالمة.

ولكنه لم يكن يعرف.. لقد ظن.. بل آمن.. إنها ببساطة، كانت تمثل.. تتلاعب به.. فهل كانت فعلاً تعني ما قالته؟ هل أحست فعلاً.. بالراحة، بالسعادة وبالحب، الذي كانا يتشاركانه يوماً؟ هل آمنت حقاً أنه رجل أحلامها.. وأن من المقدر لهما أن يلتقيا.. وأنها تحبه؟

حسن جداً.. لو أنها آمنت بهذا، فلا بد أنها تحررت من هذا الوهم تماماً الآن.. لا شيء يمكن أن يغير اعتقاده أنها بتركها له كما فعلت تعمدت تدمير الحب الذي تشاركاه.. لكن تصرفها لا يبرر ما قام به. يجب أن يذهب لرؤيتها. إنه مدين لها باعتذار، حتى ولو لم تكن حاضرة أو غير قادرة على تقديم تبرير عن الماضي.

أدرك أنه مهدّد بإحياء مشاعر منسية قرر منذ زمن طمسها. مجرد التفكير، بأني.. عاجزة، جعله يشعر.. بألم.. جعله يريد.. لكنها ليست له.. لم تعد له منذ هجرته.

أخذت آني تجمع الغسيل عن الحبل وهي مكتئبة. كانت قد أمضت الساعات الأخيرة التي تلت زيارة هيلينا في نشاط مفرط، لمنع نفسها من التفكير بدومنيك، وإجبار نفسها عبثاً على محاولة التذكر.

كانت تعرف أنها لا بد كانت تحبه.. وأحلامها وحدها شاهد حسي.. وبالتالي لا بد وأنه أحبها، حتى ولو لم يكن هناك دليل على هذا الحب.. لكن لا، يجب أن لا تفكر بهذا.. ربما أحبته، لكنها لا تزال تشعر أن عليها أن تتركه.. ثم، حين تركته، أعادت أحلامها صورته كحبيب.

إنها تعرف أكثر من هذا الآن. لكن ما تجهله هو لماذا كانت تحلم به، كبطل، الشخص المميز والوحيد.. بينما في الحقيقة، هو مختلف تماماً.

قال دومنيك لها: «لقد تخليت عني.. تركتني» ولم يكن لديها أي دفاع ضد هذا الاتهام، لأن لا ذاكرة لها عن الأحداث التي وصفها.

جمعت غسيلها الجاف، وأسرعت نحو المنزل، تحاول كبت الإحساس بالذعر الذي يعتريها.

ربما تتمكن بطريقة ما أن تبقي تلهفها على مسافة آمنة، أو هكذا حاولت إقناع نفسها.. إنها لا تجرؤ حتى على التفكير بطبيعة الموقف الذي تتخبط فيه. إنها امرأة متزوجة.. متزوجة من دومنيك كارلايل. هذا الرجل الغريب!

نوبة ارتجاف سرت في جسمها بينما كان جهازها العصبي ثائراً. وضعت الغسيل من يدها، وقررت أن تصنع لنفسها فنجان قهوة. وكانت قد ملأت الإبريق لتوها وأوصلته بالكهرباء حين سمعت جرس الباب.. افترضت أنها هيلينا، تعود لتذكرها بدعوتها لها إلى منزلها، فتقدمت لتفتح الباب.

رؤية دومنيك لم تكن متوقعة، بحيث ترنحت من الصدمة، لكن عنادها الحازم أبقى جسمها متصلباً، ترفض أن تستسلم لموجة الرعب الغثياني الذي اجتاحها.

قالت متحدية، بفم جاف: «ماذا.. ماذا تريد؟».

رد دومنيك بأدب: «أود أن أتكلم معك».

لكن آني لم تنخدع بلطفه.. فهي تعرف كم أن أدبه مخادع

تماماً.

أعلنت بكبرياء، وذقنها مرتفعة وهي تتمسك بالباب: «حسناً.. أنا لا أريد الكلام معك».

على بعد بابين من منزلها، كان أحد الجيران يسير في حديقته، ورأت آني الاهتمام الذي أثاره رد فعلها.

غريزياً، أرادت إخفاء نفسها عن جارتها. أحس دومنيك بما تشعر به، فقال بنعومة: «أعتقد أن من الأفضل أن تدعيني أدخل آني.. إلا إذا كنت تريدين أن يسمعنا الناس».

ولم يترك لها خياراً آخر فأذعنت.

دخلت الردهة الداخلية فسمحت له أن يلحق بها، وهي بحاجة إلى أمان خلوتها.

عندما أقفل الباب وراءهما سمعته يقول: «هل أنت بخير؟».

بخير؟ وخنقت صرخات الألم الحادة ما سبب لها ضيقاً في صدرها وحلقها.

قالت ببرود، بعد أن سيطرت بما يكفي على صوتها: «كنت!».

بلغا نهاية الردهة، وعبر باب المطبخ سمعت إبريق الغلي الكهربائي يصفر، تحركت نحوه آلياً، وهي تشعر أن دومنيك لحق بها.

أرادت أن تصرخ كالأطفال في وجهه: لا تدخل إلى هنا! لا تقترب إلى أي مكان قربي! لا أريدك هنا.. في منزلي.. في ملاذي الآمن.

قال فجأة: «لقد جاءت هيلينا لتراني».

أحست آني بصدمة في كلماته وكأن شخصاً فتح لها شرياناً وترك دمها ينزف. أثلجت الصدمة أعصابها وأحست بذعر أعمى.

انزلق الإبريق الذي أمسكته لتوها من قبضتها.. وصاحت برعب، تقفز إلى الوراء وهي ترميه لينسكب الماء المغلي في كل مكان، أحست بذراعها تحترق عندما لامسته المياه الساخنة وسمعت نفسها تصيح.. لكنها أحست أن ما يحدث هو لشخص آخر، وكأنها بطريقة ما ليست جزءاً مما يحدث.

ورأت دومنيك يتحرك نحوها. وسمعت الطريقة التي كان يشتم فيها وهو يسأل بخشونة: «دعيني أرى.. لقد حرقت نفسك».

أنكرت وهي تقاوم الاستسلام لمشاعرها: «هذا لا شيء.. مجرد بقع».

أمسك ذراعها متفحصاً، أولاً بنظرته، ثم بأصابعه، أثر الجرح الطويل من معصمها إلى ذراعها. لقد تلاشى كثيراً الآن، لكنها تفضل أن لا يراه الآخرون.. كانت هيلينا تدعوه: وسام الشجاعة.

سمعت دومنيك يسألها بصوت خشن: «لماذا تركتني آني؟».

فجأة، لم تعد تحتمل.

الصدمة التي كانت تقاومها منذ قال لها إنهما متزوجان، حطمت الحواجز التي حاولت إقامتها، فبدأت تبكي. شعرت بجسمها ينتفض لقوة مشاعرها. وضعت يديها على وجهها تحميه، وكأنها بتغطية عينيها، تخفي نفسها عنه، وتخفي كذلك خجلها من ضعفها وهي تنتحب بعجز.

ـ لا أعرف.. لا أعرف.. لا أستطيع أن أتذكر.. لا أستطيع

أن أتذكر..

وكأن اعترافها هذا، مجرد الاعتراف بضعفها، فتح طوفان الألم والخوف الذي كانت تكتمه منذ وقت الحادثة.

كانت ترتجف بشدة تكاد لا تستطيع الوقوف، إذ لا قوة لها للسيطرة على ما يحدث لها... وفجأة، مد دومنيك يديه إليها، ولف ذراعيه حولها بقوة بحيث وفر لها مسنداً أراحت عليه رأسها.

سمعته يقول بعد أن بدأ ارتجافها يتلاشى: «يستحيل أن تبقي هنا لوحدك.. ستأتين إلى المنزل معي».

احتجت على الفور: «لا! أنا لست طفلة. أنا امرأة ناضجة.. امرأة و..».

- وأنت كذلك زوجتي. قد لا يمكن أن تتذكري أنك متزوجة مني آني.. لكننا لا زلنا رجلاً وزوجته.

- يمكن أن نطلق..

- أجل.. لكن، بالنسبة لي، قبل أن ننهي زواجنا رسمياً، هناك أسئلة أريد الرد عليها، هناك أشياء يحتاج كلانا أن يعرفها...

أشاحت آني بوجهها عنه. كانت لا تزال تشعر بالضعف ونصف الصدمة لانهيارها العاطفي غير المتوقع.. انهيار! إنه ذوبان.. لا تزال الحروق الصغيرة تلسعها. وأحست بدوران في الرأس فارتاحت لتولي دومنيك زمام الموقف.

قال لها بصراحة: «كلانا مصدوم كما أعتقد.. وهذا الموقف بيننا شيء يجب أن نبحثه معاً آني.. لا فكرة لدي عن سبب

اختيارك إنهاء زواجنا، ويبدو أنك أنت كذلك لا تعرفين».

- ماذا تعني.. يبدو؟ هل تظن أنني أتظاهر؟ أتظن أنني لا أريد أن أتذكر؟ أتظن..

وصمتت لإحساسها بدموع جديدة تتجمع، وأحست أنها ضعيفة ومرهقة، جسدياً وعاطفياً.. وما كانت تتشوق إليه أكثر من أي شيء الآن هو أن تتمكن من اللجوء إلى مكان مظلم وآمن، لتهرب من كل الألم الذي تقاسيه.

سمعته يقول لها: «هذا الحرق يحتاج إلى عناية».

وحرقت الدموع مؤخرة عينيها.

وقالت له: «دعني وشأني.. أنا بخير».

ولكنها كانت تعرف أن كلامها غير صحيح.. فهي تشعر بالسقام، بالدوار، وبدأ بصرها يغشى.. في رأسها كانت ترى وجه دومنيك وتسمع صوته، لكن ليس كما هو الآن.. وعبر الضباب، حاولت يائسة أن تتمسك بالصور المتلاشية، لكن الوقت تأخر كثيراً.. فقد كان كل شيء يضمحل أمام عينيها.

عندما استعادت وعيها، تساءلت يائسة عما إذا كانت ستغدو يوماً بصحة جيدة، أو إذا كانت عدم قدرتها على التذكر تدل على وجود خلل في دماغها، لكن هيلينا سارعت إلى طمأنتها من هذه الناحية.. مع ذلك بقيت هذه مسألة حساسة لها.. هددت تصميمها على الحصول على درجتها الجامعية وعلى الحصول على وظيفة لائقة.

وهي تنظر بعيداً عن دومنيك، رأت فجأة الأربطة المشدودة على ذراعها وأدركت أنها لم تعرف أنها آذت نفسها. كانت على

وشك الإغماء، عندما سمعت دومنيك يقول متجهماً: «عظيم.. هذا جيد. لا تجادلي أكثر، أنت قادمة معي».

أعلن طبيب الطوارىء الذي قابلاه في المستشفى أن الحروق بسيطة، وأن الصدمة هي المسؤولة عن حالتها القريبة من الإغماء لكن دومنيك لم يكن يرغب في المخاطرة.. ونزولاً عند إصراره حُقنت مخدراً للألم.

وفيما هو يتجه إلى منزله مع الحقيبة التي وضبها لها في صندوق سيارته، كانت آني نصف نائمة إلى جانبه في المقعد الأمامي.

لقد اضطر للاعتراف بأن الضعف الذي شهده منها اليوم لم يصدمه فحسب بل لامس فيه وتراً حساساً.. شعور ظن أنه تخلص منه منذ زمن.

لهذا السبب، علم أنه يتصرف بفظاظة، نحوها. إلا أن تلك النظرة العاجزة والمذعورة التي شهدها في عينيها كانت كافية..

تلك النظرة ذكرته بما كانت عليه من قبل.. وأوقف السيارة خارج منزله قائلاً باقتضاب: «لا تتحركي».

لكنها احتجت وهو يستدير ليفتح لها الباب: «أستطيع أن أسير».

قاومت لتحرر نفسها من قبضته، لكن موجات الدوار والضعف اجتاحتها.

تجاهل دومنيك احتجاجها، ورفعها بين ذراعيه إلى الداخل، وأحست بنفسها تنزلق فوق سرير قطني ناعم.

نظراً لقراره المفاجىء بالمجيء بها، لم يكن لدومنيك فرصة

لتحضير غرفة لها، لذا كان عليه أن يحملها إلى غرفته ويضعها بحذر في فراشه العريض، وهو يتجنب النظر إليها مباشرة.

لطالما كانت رقيقة.. كان جسمها هزيلاً.. لكنه الآن، وبالرغم من إدراكه أن حناياها قد تغيرت، إلا أنه كان يعي متجهماً واقع أنها نحيلة جداً.. فعظام صدرها بارزة بوضوح من تحت بشرتها الشاحبة.

آني التي كان يعرفها، كان لها شهية صحية ومتعة بالطعام، مما جعل جسمه يتشوق لها..

فجأة تراجع إلى الخلف. هناك ذكريات ليس من الحكمة أو الأمان أن يفكر بها، وهذه الذكرى هي واحدة منها.. ليس لأنها خطيرة فحسب. لقد اكتشف وهو في طريقه إلى الطابق السفلي محاولاً العودة إلى عمله، أنه لا يمكن التخلص من الذكريات.

تنهد ساخطاً، واتجه نحو الأبواب الزجاجية يفتحها ويخرج إلى الحديقة.. إنه يتصرف وكأنه لا يزال يحبها.. لكنه لا.. لا يستطيع.. لا يجب!

في سنوات فراقهما، سنوات هجرانها له، وتدميرها الحب الذي شاركاه، استغل عذابه ليحرق مشاعره.. ويحول حبه إلى مخدر رافضاً الإقرار به.. أما اليوم وبرؤيته الألم والخوف في عينيها فقد زال مفعول المخدر واستيقظت مشاعره مجدداً.

معرفته بأنها كانت على شفير الموت، أثرت به وآلمته في داخله، ظن أن من المستحيل أن يتأثر بها مجدداً. لكنه جادل نفسه: إنه ليس الحب.. كيف يمكن أن يكون حباً؟

لا.. لا يمكن أن يكون حباً.. ولكنه لم يستطع منع نفسه من

التذكر.

دون إرادة، رفع رأسه ينظر باتجاه غرفة نومه.. في هذه الغرفة.. وعلى ذلك السرير.. تنام آني.. زوجته.. في الفراش الذي شاركها فيه يوماً.. آني التي كانت.. حبه الكبير.

أعاد نظره ساهماً نحو النهر. لطالما أحبت أن تستلقي في الفراش ليلاً والستائر مفتوحة لتسمع صوت خرير المياه، حتى أنهما مرة سارا معاً في الظلام ليسبحا هناك معاً، في العتمة الساكنة.

لقد تمتعت في البداية، محتجة على برودة المياه.

في الصباح التالي، مدت إليه يدها، تلاحق عضلاته المشدودة على ذراعيه بأطراف أصابعها.

قالت له: «عدني أن تحبني دائماً وإلى الأبد» وقال لها «إلى الأبد» وكان يعني ما يقول.

عاد إلى الداخل.. إنه الآن رجل ناضج، وأمامه تقرير عملي يجب أن ينهيه، ولا مصلحة له بالوقوف في الخارج والسماح لأفكاره بأن تشرد في مثل هذه الأفكار الخطرة.

مهما استدعت محنة آني الحالية شفقته، لا يجب أن يسمح لنفسه بأن ينسى ما حدث.. لقد بكت وقالت إنها لا تتذكر، وأحس فعلاً بخوفها وذعرها.. لكن، إلى أن تعود لتتذكر، لن يكون أي منهما حراً في الابتعاد عن الماضي.. وعن زواجهما.

* * *

٧ ـ رماد الحب

ـ كيف تشعرين الآن؟

ردت آني بسرعة، متجنبة عيني دومنيك: «بخير».

ومدت يدها لتصب فنجان قهوة آخر.

إنها في منزله منذ ثلاثة أيام، أي اثنتان وسبعون ساعة. وهذا برأيها وقت طويل، أمضت أول أربع وعشرين ساعة منها نائمة، لكنها استعادت وعيها من الصدمة التي واجهتها في حادثة إبريق الماء، وهي تشعر بالخجل الكامل للطريقة التي بالغت فيها بردة الفعل تجاه الحادثة برمتها.

لقد حان الوقت لتعود إلى منزلها.. إنها تود أن تذهب بأقصى سرعة خصوصاً وأنها تنام في فراش دومنيك، وسرت تشنجات من الأحاسيس في داخلها.

لم تكن تشعر نحوه سوى بالغضب للطريقة التي عاملها بها.. لكنه على أي حال، اعتنى بها.

قالت له في أول أمسية بعد أن استعادت وعيها، عندما دخل غرفتها، أي غرفته في الواقع، وهو يحمل صينية طعام: «لست جائعة».

ورد عليها: «كلي هذا».

لكنها تأثرت بما فعله. وبعد خروجه، اختلطت دموعها المالحة بالحساء الذي قدّمه لها.

وردت محتجة فيما عاد إليها: «هذه غرفتك».

ـ إنها غرفتنا.

وتوقف لرؤية جمودها. وأكد لها متجهماً: «لا تقلقي.. لن أفرض عليك حقوقي الزوجية. لقد حضرت لنفسي سريراً في إحدى الغرف الأخرى».

ردت بعناد، وهي تتجنب النظر إليه مباشرة: «في الواقع.. أشعر أنني بخير وأعتقد أنه حان الوقت لأعود إلى منزلي».

تحداها دومنيك: «ماذا؟ لا يزال هناك الكثير من الأشياء بيننا تحتاج إلى حل آني».

قالت: «أنا.. لدي أشياء كثيرة أقوم بها.. حديقتي، والبيت».

ثم توقفت وهي ترى أنه كان يهز رأسه رافضاً.. ثم أكملت بإصرار: «قد يتساءل الجيران عما حدث لي».

أكد لها بهدوء: «لا داعي للقلق حول أي شيء من هذا. لقد شرحت الوضع لجيرانك، أما بالنسبة للحديقة فأستطيع التحدث إلى من يعتني بحديقتي و..».

قاطعته بحدة: «شرحت أي وضع؟».

وتسارعت دقات قلبها: «لقد أخبرتهم عن حادثتك مع إبريق الماء، وشرحت لهم أنك كزوجة لي..».

انفجرت آني غير مصدقة بغضب: «زوجتك! قلت لهم إننا متزوجان..».

تحداها: «ولمَ لا؟ على أي حال، هذه هي الحقيقة».

احتجت: «لكننا سنطلب الطلاق.. ولا حق لك أن تفعل هذا.. أنا لا أريد..».

قاطعها ساخراً: «أن يعرف الناس أنني زوجك؟».

هزت آني رأسها.. كيف يمكن أن تفسر له كم تشعر بالخجل إن عرف الناس أن لها زوجاً ولا تستطيع أن تتذكر أنها تزوجته؟

كررت بصوت أجش: «لا يحق لك أن تفعل هذا».

ووقفت عن الكرسي، وأخذت تسير في المطبخ بتوتر، ثم قالت له بحدة: «أريد الذهاب إلى منزلي دومنيك.. الآن».

كرر بحدة: «هذا منزلك».

وأضاف قبل أن تستطيع الإنكار: «لقد سجلته باسمينا بعد زواجنا آني. وهذا أحد الأسباب التي منعتني من بيعه.. دون موافقتك الخطية».

ردت بسرعة: «بإمكانك الحصول على موافقتي.. أنا لا أستطيع البقاء هنا».

ـ ولمَ لا؟ ما الذي تخافين منه؟

أنكرت بشدة: «لا شيء.. لا شيء».

واستدارت لتواجهه. فقال متجهماً: «أنت تعامليني كعدو لك، آني.. وأنا لست كذلك، كل ما أريده..».

ـ أن أستعيد ذاكرتي كي أتمكن أن أقول لك لماذا تركتك.. أتظن أنني لا أريد أن أتذكر؟ أتظن أنني أتظاهر.. أو أنني أكذب؟ هل لديك فكرة عن إحساسي حين قلت لي إنني متزوجة.. إنني

شاركت الحياة.. الحب.. مع رجل..؟

وصمتت آني وهي تشعر بثقل مشاعرها.. ثم أكملت: «بالطبع أريد أن أتذكر.. لكنني لا أستطيع..».

قال: «ربما لا.. لوحدك. لكن مع مساعدتي.. ربما..».

قاطعته محدقة به: «ماذا تعني بمساعدتك؟».

ـ نحن تشاركنا الحياة.. وأنا أستطيع أن أتذكرها، حتى لو لم تتذكريها أنت.. أتذكر كل شيء فعلناه، كل شيء قمنا به.. وأعتقد أننا لو عشناها مرة أخرى.. لو أخذتك عبرها مرة أخرى.. سيعيد هذا شيئاً لك.

سألت بحذر: «ماذا تعني بقولك، لو عشناها مرة أخرى؟».

ما يقترحه أمر سخيف.. وبالطبع لن توافق عليه.. لكن، كان واضحاً أنه مصمم على تنفيذ ما يريد. وأكد لها على الفور: «أوه.. لا تنظري إليّ هكذا.. أنا لست رجلاً شاذاً لأجبر امرأة كارهة أن تنام معي.. ما أقترحه هو العودة إلى الماضي بدون العنصر الجسدي الذي تشاركنا به.. على أي حال، هذا شيء لم ننسه.. أليس كذلك؟».

بوجه محمرّ، ابتلعت آني كلماته باستنكار.. إنه يتكلم عن أحلامها طبعاً، ولا يمكنها أن تنكر ما يقوله..

قالت بصراحة: «لن ينجح هذا».

أصرّ متجهماً: «عليك أن تجربي..».

استدارت عنه وهي غير قادرة على الرد، لأنها تعرف أن ما قاله صحيح.

وافقت على مضض: «حسناً.. لكنني لست مضطرة للبقاء هنا..».

وقال لها: «اسمعي.. أنت وأنا عشنا شهرين معاً. كل ما أطلبه أن تعطيني فرصة شهرين.. هذا كل شيء. وإذا لم تستعيدي ذاكرتك خلال هذه المدة، سأعترف بالهزيمة و..».

قاطعته ببرود: «وتطلق».

وافق بصوت مماثل يخلو من العاطفة: «أجل».

أدركت آني أنهما لو كانا ينويان الطلاق، فلا داعي لتأخير الأمور دون سبب منطقي. لكن، بالطبع هناك سبب آخر. إن كرامة دومنيك الذكورية لا تزال مجروحة لأنها تركته.. ويريد تفسيراً، عذراً، وهو مصمم أن تعطيه له.

لكن أعذارها في رغبتها أن تتذكر الماضي كانت أكثر تعقيداً. لقد حلمت بدومنيك كعشيق لها، وجسمها يتذكره. وقبل أن يقول لها الحقيقة عن زواجهما، وماضيهما المشترك، تشوقت للتقرب منه بقوة جعلته بطريقة ما يخترق الأبواب الموصدة لذاكرتها.. إذن، لماذا تركته؟ شعرت وكأن قطعة من نفسها مفقودة، تهدد بنبش كل القلق وعدم الأمان الذي عرفته وهي طفلة مهجورة.. لكنها هذه المرة هي التي ستقوم بالهجر..

حين اتصلت آني بهيلينا لتقول لها ماذا سيفعلان سألتها: «ماذا ستفعلان؟».

ـ يقول دومنيك إنني قبل أن أتذكر الماضي بشكل مناسب، لن يتمكن أي منا من متابعة حياته.

اعترفت هيلينا: «أويد وجهة نظره، إذا كان هذا ما تريدين فعله..».

دومنيك مصمم على رأيه ولن يمنعه أحد، حتى هيلينا. وكانت تحاول إقناع نفسها أن تحمل الشهرين القادمين سيكون مثل تحمل العلاجات المزعجة التي خضعت لها في المستشفى.. والنتيجة النهائية ستستحق الألم الذي ستشعر به.

قالت هيلينا: «حسناً.. يجب أن أعترف أنني مسرورة لأنك لن تعيشي لوحدك.. فأنت تواجهين وقتاً عصيباً جداً آني.. بالرغم من استقلاليتك. ولكنه ليس الوقت المناسب للعيش بمفردك».

صمتت هيلينا قليلاً، ثم تابعت: «هذا يعني أن الطلاق سيتوقف في الوقت الحاضر؟».

ردت آني بارتجاف: «في الوقت الحاضر. إنه مجرد تأخير مؤقت».

مجرد تأخير مؤقت.. مجرد تأخير لشهرين.. لكن لم تمض ثلاثة أيام حتى بدأت آني تندم بمرارة لأنها سمحت لدومنيك أن يقنعها بقبول خطته.

هيلينا ودومنيك كانا يصران على أن آني لم تستعد عافيتها الكاملة بعد، وبدأت آني تشعر أن الوقت يتدلى بثقله على يديها.. وكان دومنيك منهمكاً بأعماله، ولكنها لم تكن سعيدة، كانت تشعر بالتعب والصداع بسبب كسلها، وكانت تخشى النوم خوفاً من أن تحلم به.

دومنيك!

لان العيش معه كان يثقل كاهلها.

مجرد التفكير به كان يجعل جسمها يجفل، وتتملكها رجفات تشنجية صغيرة. كانت تعي وجوده الجسدي كثيراً.. وتشعر بالضعف الجسدي أمامه.. وها هي، تعترف بما كانت تحاول نكرانه في الأيام القليلة الماضية.. أخرجت مخاوفها إلى العلن، وهي تتمنى جمع أفكارها المشتتة ومشاعرها. كان الطقس حاراً في الحديقة، وأشعة الشمس تضرب جفنيها المغمضين. ودومنيك في عمله، وهي لوحدها. ومرت نحلة تئز مشغولة بين الورود القريبة.

الورود.. إنها تستطيع أن تشم أريجها ومرت قشعريرة أحاسيس في جسمها.. من خلف جفنيها المغمضين، استطاعت أن ترى صوراً مشوشة متعرجة: ورود تلمع تحت أشعة الشمس، ومليئة بالزهر.. رائحتها تملأ فتحات أنفها.. لكنها لا زالت غير قادرة على الخلاص من الرائحة المثيرة للرجل الجالس إلى جوارها.. ورأت أصابعه وهو يمد يده إلى وردة.

همست: «لا.. لا تقطفها.. ستعيش هنا مدة أطول..».

ـ كم أنت طفلة..

الصوت المداعب الدافىء تردد صداه في أذنيها وكأنه صوت البحر وهي تسمعه من داخل صدفة، فهي تسمعه وتعرفه، لكن من بعيد.

شعرت بأنفاسه على بشرتها، وكتمت أنفاسها لأنها أدركت بأنه سيعانقها.. وتوترت عضلات معدتها بإثارة

وترقب.

وأحست بيديه تتحركان على ذراعيها، وتحيطان بكتفيها.. فاقتربت منه، وبدا مصمماً، كما النحلة التي تمتص رحيق الورد، علي الحصول على حلاوة عناقها.

ارتجف جسمها كله، ولم تعد استجابتها خرساء وهي تتأوه بسعادة: «دومنيك..».

فجأة، فتحت آني عينيها، وبينما كانت سعيدة مسترخية دافئة، أصبحت الآن باردة ومتصلبة.. وبالرغم من الارتجاف الذي كان يهزها، أحست بالعرق يتفصد من جبينها.

ما الذي يحدث لها؟ هل ستجن، أم أن ما اختبرته لتوها مجرد وميض للواقع؟

هل عانقها دومنيك هنا من قبل؟ وفي حديقة الورود المغلقة هذه؟

- آني؟

حين سمعت صوت دومنيك حاولت استجماع رباطة جأشها.. لكن، حين رأت تعابير وجهه، عرفت أنها لم تنجح في إخفاء اضطرابها.

سألها بحدة: «ما الأمر؟ ما بالك؟».

كان مثيراً بقميصه الأبيض، ومخيفاً في الوقت نفسه ومليئاً بالحيوية، أم أن ذاكرتها هي التي تجعلها تراه هكذا؟ وأغمضت عينيها.

وسمعت نفسها تعترف بارتجاف: «أعتقد أنني.. تذكرت شيئاً لتوي».

لماذا قالت هذا؟ لماذا قالت أي شيء؟ وجلس دومنيك إلى جانبها، يمد يده ليمسك ذراعها ويقول بلهفة: «تذكرت؟ ماذا؟ أخبريني..».

بدأت تنكر: «لا شيء هام، حقاً».

وكانت كارهة أن تصف له الطبيعة الحساسة الحميمة لتجربتها.

تحداها دومنيك: «أنت تكذبين، أخبريني آني.. من حقي أن أعرف».

ابتلعت آني ريقها.. وأحست بدوار.. فهل هذا بسبب الحرارة أم بسبب ما حدث؟ وشعرت بالارتجاف.

سمعت دومنيك يعتذر: «أنا آسف.. لم أقصد أن أبدو عدوانياً هكذا».

أذاب اعتذاره مقاومة آني.. وحاولت أن تقول له ما الذي حدث: «إنها الورود.. استطعت أن أشمها.. ثم فجأة..».

أكملت مترددة: «هل كان هناك وقت..؟ هل قمنا..؟».

عرف دومنيك فوراً ما تحاول أن تسأله وقال لها بهدوء: «كنت تحبين هذا الجزء من الحديقة.. وغالباً ما كنت تأتين إلى هنا و..».

وصمت لينظر بعيداً عنها: «أعرف أنه صعب ومؤلم عليك آني.. لكنني لا زلت أتذكر الأوقات التي قضيناها معاً».

وصمت مجدداً، وأبعد يده عن ذراعها. واكتشفت آني بشكل غريب أنها افتقدت لدفء يده. وبتردد، رفعت يدها، دون أن

تدري ما تفعل. واتسعت عيناها حين مد دومنيك يده يمسك بها، ويشبك أصابعه بأصابعها، ويبقي نظرته على أيديهما المتشابكة، ويكمل: «أنا لست منيعاً ضد تلك الذكريات..».

رأت آني صدره يعلو ويهبط وهو يأخذ أنفاساً مهدئة: «كنا هنا حين قلت لك إنني أريد صورة فكرية عنك آخذها معي حين أسافر.. وهنا..».

أنهت له آني كلامه: «.. عانقتني وقلت إن عطر بشرتي أحلى من عطر الورود».

ساد صمت صغير قبل أن يهز دومنيك رأسه ويقول مكتئباً: «أجل».

ـ أنا.. لقد تذكرت لتوي هذا.. حين أخبرتني عن الصورة.. قبل هذا كنت قد تذكرت كيف.. عانقتني هنا.

وافق دومنيك على كلامها: «أجل.. لقد عانقتك هنا.. ورددت لي العناق.. و.. أوه، يا إلهي آني..».

فجأة أصبحت بين ذراعيه، والعناق الذي تشاركاه لم يكن ذكرى.

يجب أن توقفه، وعرفت آني هذا. لكن بدلاً من ذلك تعلقت به بشوق أكبر، وهذه المرة، رائحة الرجل الدافئة، رائحته، هي التي كانت تفعل الكثير، تدمّر سيطرتها على نفسها، لم تكن خيالية أبداً.. وربما بسبب هذا، كان لها تأثير أكثر خطورة على أحاسيسها.

هل تشعر هكذا بسبب ما تذكرته، ولهذا تستجيب له، وتريده؟ تساءلت آني وشفتاها تنفرجان له: «دومنيك..

دومنيك.. دومنيك..».

حتى أنها لم تكن تعي أنها تتلفظ باسمه إلى أن سمعته يستجيب: «أجل.. أجل.. أنا هنا».

ثم أحاطت يداه بوجهها، وتلاصق جسميهما وذابا معاً كأنهما في الواقع لا زالا عاشقين.

هناك بعض الأشياء التي لا يمكن نسيانها أو حذفها: المشاعر، الأحاسيس، الحاجات. وخفق قلبها بذعر بين ضلوعها، ومالت آلياً إليه ترتجف سعادة.

وشعرت به يقترب منها أكثر، ولكنها صرخت: «لا!».

وبصوت حاد مرتفع مذعور ابتعدت عنه.

ولجزء من الثانية، حدقا ببعضهما بصدمة وعذاب مشترك...

قالت آني: «ما كان يجب أن تفعل هذا..».

لكن دومنيك قاطعها بحدة: «وما كان يجب أن تدعيني أفعل».

أن تدعه! على الأقل، لم يقل أن تستجيب له.. وحاولت آني تعزية نفسها.

فجأة أحست ببرد شديد وتعب، فقال بلطف: «اسمعي.. أقدّر تماماً كم يصعب هذا على كلينا».

وافقت مرتجفة: «لا.. لكنك على الأقل تتذكر أشياء عنا.. أما أنا..».

اغرورقت عيناها بالدموع.. وشعرت بالإحباط.. وقالت تغير الموضوع: «لقد عدت باكراً أكثر مما توقعت».

ـ إنها فترة رائعة.. وفكرت أنك قد تحبين الخروج.. لكن إذا كنت لا تشعرين أنك بخير..

ردت غير صادقة: «أنا بخير».

كانت لا تزال تشعر بالدوار، لكنها لا تعرف إذا كان بسبب ما تذكرته من الماضي أم بسبب ما تشعر به الآن في الحاضر، حين عانقها دومنيك، لأنها خائفة من المستقبل.

قال دومنيك بهدوء: «ربما الآن، وقد تذكرت شيئاً، قد يكون الوقت المناسب لنرى إذا كنت ستتمكنين من تذكر المزيد».

تحدته: «ماذا تعني؟».

إذا كان سيقترح أن يعانقها مرة أخرى فلن تقبل اقتراحه.. لكن حين رد على سؤالها الحاد كان صوته لطيفاً ومطمئناً.

ـ فكرت أن نخرج في نزهة بالسيارة لزيارة بعض الأماكن التي سبق وزرناها. قد يساعدك هذا في تنشيط ذاكرتك.

تفحصت آني بحذر اقتراحه.

واعترفت بالتدريج: «هل تظن حقاً..؟ أعتقد أن لا ضرر في هذا».

قد لا تكون واثقة أنها تريد الموافقة على اقتراحه، لكنها واثقة من عدم قدرتها على البقاء في حديقة الورد الحميمة معه.

وأحست بالارتياح لأنها لم تجد ذكريات تجمعهما في السيارة. ومدت يدها إلى حزام مقعدها.

سألته وهي تشعر بفضول مفاجىء: «أي نوع من السيارات كنت تملك.. يومها؟».

أجاب وهو يخرج بسيارة «البي أم ڤي» إلى زحام السير في

الشارع المكتظ: «يومها؟ تعنين يوم تقابلنا أول مرة؟».

هزت آني رأسها إيجاباً، فأكمل: «ألا تتذكرين؟».

هزت رأسها نفياً، ولسبب ما، كان لها صورة فكرية عن مركبة قديمة، لونها الأخضر القاتم ملطخ بالوحل ومخدش.

قالت: «هل كانت..؟ لا! لا أستطيع أن أتذكر».

أحس دومنيك فوراً أنها تكذب..

قال بلهجة عفوية: «كانت من طراز رياضي صغير.. حمراء لماعة.. ماذا؟». تبدو عليك الدهشة، لماذا؟ أي طراز سيارة توقعت أن يكون لدي؟».

هزت كتفيها تقول مترددة: «أوه.. لا أعرف. فكرت ربما بلاند روڤر، أو شيء بمثل هذا الطراز».

صحح لها دومنيك: «كانت رانج روڤر.. بلون أخضر قاتم..».

كانا يمران عبر البلدة إلى الساحة. أدخل السيارة إلى موقف سيارات، وقال لها: «تعالي.. سنذهب سيراً على الأقدام».

* * *

سألها دومنيك بعد نصف ساعة ويده تمسك يدها بقوة وهو يسير معها للمرة الثالثة على طول شارع ضيق، قال لها إنهما التقيا فيه أول مرة.

ـ حسناً؟

قالت بصدق: «لا. لا شيء.. لا شيء أبداً».

وهي ترى نظرة الإحباط في عينيه، ملأت عينيها بدموع

الهزيمة، وقالت متحدية: «هل تظن أنه يسهل علي هذا. إنه كابوس فظيع، ولا أريده».

ـ كما أنك لا تريديني تماماً؟

لم تجرؤ آني على النظر إليه. وقالت مرتجفة: «لن ينجح هذا».

من زاوية عينها شاهدت شاب وشابة يسيران نحوهما، والفتاة ملتصقة بصديقها، وهما يقتربان من آني ودومنيك، توقفا، ليعانقا بعضهما بخفة أولاً.. ثم بحرارة متزايدة، وابتعدت الفتاة أولاً، تضحك مقطوعة الأنفاس.. وتسمرت آني. لم تعد قادرة على إبعاد نظرها عنهما، وبدا لها أن صدى ضحكة الفتاة يتردد داخل رأسها، ويجعلها تشعر بدوار.

ـ آني؟

استطاعت سماع دومنيك يناديها، وهي تجر نظرتها بعيداً عن الشابين.

قالت: «أنا متعبة دومنيك.. أريد العودة إلى المنزل».

ولدهشتها لم يضغط عليها لتبقى، وبدلاً من أن يقود سيارته إلى المنزل، قادها إلى خارج البلدة، وعبر طرقات ريفية إلى مطعم صغير، زارته في مناسبتين مع هيلينا وبوب. وكان معروفاً بطعامه البيتي الممتاز، ولا مجال لأن تكون زارته مع دومنيك لأنه افتتح أبوابه منذ سنتين أو ثلاثة.

قالت مؤكدة: «نحن لم نأت إلى هنا من قبل».

ـ لا.. أعرف هذا.. ولكننا جائعان، ومن المستحسن أن نتواجد بمكان غير مألوف لنا.

أرادت أن تقول: أنا لست جائعة.. لكنها فجأة، وبشكل مدهش، أحست بالجوع.

وجبة الطعام اللذيذة أثرت عليها.. واعترفت بهذا بعد ساعتين حين فتحت عينيها لتكتشف أنها نامت بينما كان دومنيك يقود السيارة عائداً إلى المنزل.

سألها وهي تركز عليه بارتباك: «هل تشعرين أنك بخير؟».

ـ أجل.. أنا بخير تماماً.

وجلست بسرعة مستوية في مقعدها. وارتفعت زوايا فمه، ولمعت عيناه بنظرة أرسلت رعشة تحذير حادة عبر جسمها. وقال: «النوم يحولك إلى امرأة محبوبة بشكل رائع..».

قاطعته آمرة بصوت أجش: «كفى!».

ووضعت يديها على أذنيها لتتجنب سماعه، لأنها كانت تشعر بالضعف، ولا تريد أن تتطور الأمور أكثر.. دون أن تنظر إليه.. مدت يدها وفتحت باب السيارة، ونزلت مسرعة نحو الباب الأمامي للمنزل.

لكنه لحق بها، ومد يده ليعتذر لها: «أنا آسف.. ما كان يجب أن أقول هذا».

ـ لا.. ما كان يجب.. أعرف كم أنت متلهف لأن أستعيد ذاكرتي، لكن أن تسخر مني بسبب أشياء لا أستطيع أن أتذكرها، على أمل تنشيط ذاكرتي..

وصمتت قليلاً، بينما فتح دومنيك الباب. ثم، وهي تحاول الدخول أربكها بقوله: «من قال إنني أحاول تنشيط ذاكرتك؟».

وحاولت إيجاد مبرر لكلامه، وتذكرت كيف كان يحثها على إنهاء أول طبق طعام.. وتوقفت عن التفكير مسمرة في مكانها داخل الردهة، ودون ثبات، سارت نحو المطبخ، حيث رأت دومنيك يملأ إبريق الماء ليحضر فنجاني قهوة.

قال وهي تدخل: «حسناً.. حسناً.. ما كان يجب أن أقول هذا».

لكن، عندما نظر إليها، توقف ووضع فنجاني القهوة، وتقدم بسرعة إليها. وأمسك بها بلطف يسأل بهدوء: «ما الأمر؟ ما الذي حدث؟».

وبذهول ردت مرتجفة: «لست واثقة.. إنه..».

وصمتت ترفع نظرها إلى وجهه بعينيها الواسعتين، بمزيج يقطع القلب من الكبرياء والارتباك، وهي تقول له مترددة: «لا شيء.. حقاً.. مجرد..».

حين توقفت، أحست بأصابعه تشتد قليلاً على ذراعها..

قالت: «تذكرت أنني كنت دائماً أتناول أول طبق طعام لي بينما أنت تكاد تنهي الثاني».

وهي ترى عبوسه، حاولت أن تشرح: «كان الأمر.. أنني رأيتك.. رأيتنا.. استطعت أن أسمعك.. وكأنما أنا موجودة هناك فعلاً..».

حين لم يرد، قالت مخمنة: «هل خاب أملك؟ أنا آسفة لأنني..».

سارع يؤكد لها: «لا.. لا.. لا يجب أن تأسفي.. أنا لست.. هذه بداية».

وافقت باكتئاب: «أجل».

وترك ذراعيها. كان واضحاً أنه كان يأمل أن تتذكر المزيد، وهي نفسها بدأت تتمنى هذا.. لو تستطيع.. وبدأ رأسها يؤلمها.. هل هذا بسبب نومها؟

تمنت لو أنه ليس لطيفاً معها ومتفهماً هكذا، لأنها تفضله حين يكون غاضباً وعدوانياً نحوها. بهذه الطريقة.. بهذه الطريقة ماذا؟ بهذه الطريقة يمكنها رفض الاعتراف بالمشاعر الجياشة التي لا تريدها والشوق الذي بدأ يتشابك حول قلبها؟ إنها تعاني فقط من الارتباك.. من الوهم.. من الخيال. إنها تتذكر أنهما أحبا بعضهما يوماً.. لكن هذا كان في الماضي.. ماض لا تستطيع أن تتذكره.. ماض تخلت فيه عنه وعن ذلك الحب.

قالت دون ثبات: «أنا متعبة.. أريد الخلود إلى النوم».

راقبها دومنيك تسير مبتعدة عنه. وجبينه مجعد بتقطيبة صغيرة.. بدت له ضعيفة جداً، ضائعة، وحزينة.. حتى أنه أراد أن يركض وراءها، ويرفعها بين ذراعيه ويقول لها أن لا تقلق، وأن الماضي لا يهم، وأن بإمكانهما.. بإمكانهما ماذا؟ البدء من جديد؟ لمجرد أنه شاهدها كالفتاة التي كانت.. لمجرد أنه حين عانقها استجابت له.. وتذكرته..

إنه لا يزال يكنّ لها المشاعر.. لا يزال يستجيب لها! لا يزال يريدها، اللعنة.. وماذا في هذا؟ مسموح له أن يكون إنساناً.. أليس كذلك؟ إضافة إلى هذا.. لا شيء يعني..

لا شيء يعني ماذا؟ إنه يقع في حبها مجدداً؟ وهذه المرة

كامرأة وليس كفتاة صغيرة.

أخذ رشفة كبيرة من قهوته.. بتوتر وحرقة.

* * *

٨ ـ الحقيقة المرّة

نظرت آني متململة عبر غرفة النوم المظلمة إلى النافذة، ثم إلى ساعتها. لقد حلّت الساعة الثانية صباحاً، وهي مستيقظة منذ أكثر من ساعة، أفكارها تدور متسارعة داخل رأسها في سباق مرهق بدون جدوى.

الشظايا المكتشفة من ذاكرتها المفقودة تعذبها، تتحداها أن تحلّل بالمنطق ما تصوره لها. لم تستطع إدراك كنه هذه الصور التي تكمن في مكان ما من أعماق لا وعيها.

كان السؤال الذي تريد هي ودومنيك أن يعرفاه بيأس يطاردها.. لكنها لم تكن قريبة من اكتشافه، فالذكريات المتقطعة التي استعادتها عن زواجها عززت أحلامها.. جسمها يتشوق لدومنيك كحبيب، لذا لا بد أن يكون هناك دافع قوي لتهجره.. إلا أنه لم يكن قوياً بما يكفي ليدمر انجذابها إليه.

بنفاد صبر، دفعت عنها الأغطية، وأنزلت قدميها إلى الأرض.. لن تجد وسيلة للنوم، من الأفضل أن تنزل إلى الأسفل وتحضر لنفسها فنجان شاي ترطب به حنجرتها الجافة.

رسمت ابتسامة ساخرة على فمها وهي تتلمس بيدها دفء روبها القطني.. إنه هدية من هيلينا وبوب.. اشترياه بعد أن أبدت

www.elromancia.com

إعجابها به عندما رأته في واجهة محل. كان مصنوعاً من القطن الأبيض ومطبعاً بقلوب صغيرة ورسائل مكتوبة.. لفت اهتمامها لأنه معد لفتاة صغيرة في الواقع، لا لامرأة.. قصير، محتشم، ومع ذلك تحبه.

نزلت بهدوء، توقفت لتتأمل السلم المحفور، تمرر أصابعها آلياً فوق الخشب المصقول. أشهر نقاهتها الطويلة أعطتها الوقت الكافي للقراءة ولتوسيع أفقها في كل اتجاه.. فالفتاة المترددة التي كانت متخوّفة من رفض الآخرين لها بسبب خلفيتها العائلية، حل مكانها امرأة واثقة في آرائها.

يؤلمها بالطبع، أن تعرف أن أمها تخلت عنها، وأنها لن تعرف أبداً أبداً، من هما والداها. لكن الحب المشترك، والاحترام اللذان وجدتهما لدى هيلينا، أظهرا لها أن قيمة المرء في شخصه وليس في وضعه الاجتماعي.

في مأوى الأولاد حيث كبرت، كانت هادئة كثيراً ومتقوقعة على نفسها، ولم تكن تروق للأزواج الذين كانوا يبحثون عن طفل يتبنونه.

توقفت آني فيما تجعد جبينها بعبوس مسترجعة الحادثة المؤلمة التي تعرّضت لها.

كانت في الرابعة من عمرها عندما أتى زوجان شابان يريدان أن يتبنيا طفلة، وقد عادا إلى الميتم أكثر من مرة. كانت آني تأمل يائسة أن يختاراها ولكنها كانت خجولاً جداً لتعبر عن مشاعرها حين أخذاها في نزهة. كانت تدعو الله يائسة في الليل أن يختاراها. وجاء اليوم الذي قصدا فيه الميتم مع زوجين أكبر سناً،

ربما والدي أحدهما. كانت آني تقف خارج الباب، تنتظر استدعاءها لرؤيتهم حين سمعت حديثاً بين الجميع.

سمعت المرأة الشابة تقول: «تعجبني آني.. إنها حلوة وجميلة».

تدخلت المرأة الأكبر سناً بحدة: «آني؟ أليست تلك الفتاة المهجورة؟ لا أعتقد أنك يجب أن تختاريها إيلين.. فليس لديك أدنى فكرة عن أصلها.. أليس كذلك؟ أي نوع من البشر يتخلى عن طفلة؟ وتعرفين ما يقال عن الدم الفاسد؟ لا! أعتقد أن من الأفضل اختيار السمراء، فنحن على الأقل نعرف أصلها».

مثل أي مجتمع مؤسساتي، كان هناك تسلسل سلطوي. ترتيب في الاختيار داخل الميتم، وكانت آني تعرف أنها «مختلفة» عن معظم الآخرين، لأن لا أحد يعرف هويتها وأصلها.. لقد وجدتها امرأة مسنة، ملفوفة بسترة صوفية في حمام السيدات في محطة القطارات المكتظة.. وبالرغم من كل محاولات السلطات، لم يتقدم أحد للمطالبة بها.. في تلك اللحظة عرفت لماذا.. لأن دمها فاسد!

في المطبخ، أعدت لنفسها فنجان شاي، وعادت إلى الردهة.. ثم توقفت حين وصلت إلى باب غرفة الجلوس المفتوح.

هنا، كانا يجلسان متعانقين في الأمسيات.. يقرآن.. يتكلمان..

دخلت الغرفة، واتجهت نحو المقعد الكبير إلى جانبها. بحذر وضعت فنجان الشاي من يدها على طاولة القهوة الصغيرة،

ثم جلست في مواجهة الصوفا تنظر إليها متفحصة.

عمّ تفتش؟ عن صورة منطبعة لدومنيك جالساً هناك؟

واكتشفت أنها تكتم أنفاسها.. آملة أن ترى.. أن تتذكر.. لكن الذكرى أخذت تتلاشى، ترفض بعناد أن تتحول إلى شيء حسي.

بغضب، استكانت في مقعدها.. أحست كأن ذاكرتها تتعمد إيلامها فهي توهمها بمعلومات لخداعها ثم ترفض إعطاءها شيئاً جوهرياً أكثر.

كان على الطاولة دفتر ملاحظات وقلم. وباندفاع، أخذتهما، وعادت تستقر في المقعد، ترفع ساقيها تحتها وهي ترسم دون وعي.

أشجار صلبة، شائكة الأغصان.. منزل صغير، مربع الشكل، بنوافذ عليها ستائر، والدخان يخرج من مدخنته. وأعطته حديقة، مسورة بسياج وآمنة.. حسن جداً! لم يلزمها مخيلة كبيرة لتعرف ماذا يمثل هذا الرسم.. لكن، ماذا عن النهر الذي رسمته كذلك، والسيارة؟ مركبة ضخمة مغلقة، تشبه تقريباً سيارة دومنيك.. الرانج روڤر؟

حثت آني نفسها: فكري.. فكري.. وتذكري..

بدأت تكتب اسم دومنيك، لكنها لم تدرك هذا إلا بعد أن كتبته. ورسمت قلوباً صغيرة بدلاً من النقاط.. لماذا فعلت هذا؟ وكتبت كلمة «زواج».. ثم بدأت تخط تحتها لائحة أخرى من الكلمات، وقلمها يتحرك أسرع فأسرع وهي تكتب.

حين توقفت أخيراً، كانت تتنفس وكأنها أرهقت نفسها

جسدياً، وكان قلبها يخفق بشدة.

وتفحصت اللائحة وهي متوترة: «الحب.. الثقة.. الاحترام.. الفرح.. المشاركة.. القبول.. دومنيك».

وغشت الدموع عينيها.

* * *

أجفل دومينيك حين نظر إلى ساعة المنبه. لقد استيقظ فجأة، وكأن الساعة السابعة صباحاً وليست الثالثة فجراً.

وأدرك أن لا مجال للعودة إلى النوم. وأنه من الأفضل استغلال الوقت لبعض العمل.. فنزل عن السرير، وارتدى روبه.

كانت آني تركز بشدة على لائحتها فلم تتنبه إلى دومنيك حتى أصبح في غرفة الجلوس. احترق وجهها خجلاً حين رفعت رأسها وشاهدته.

قالت، تدافع عن نفسها: «لم أستطع النوم.. فنزلت لأعد شراباً..».

قال: «همم.. وأنا كذلك..».

وتقدم ليقف إلى جانبها متطلعاً إلى اللائحة. لم تكن سريعة بما يكفي لإخفائها.

سأل بفضول: «ماذا تفعلين؟».

ـ لا شيء.. مجرد.. لقد فكرت أنني لو رسمت أو كتبت أي شيء يخطر ببالي قد...

جلس دومنيك على الصوفا وقال: «هل لي أن أرى؟».

على مضض أعطته الورقة، قائلة: «لست أدري لماذا فعلت هذا.. كانت فكرة سخيفة و..».

ورأت طريقة عبوسه وهو يركز على اللائحة: «.. ما الأمر؟».

رد باختصار: «لا شيء».

أدرك أنه كان صارماً، فأكمل شارحاً: «إنها القلوب الصغيرة مكان النقاط.. مثل هذه التي على روبك».

وأشار إلى الشبه الذي لم تلحظه آني: «هكذا كنت دائماً تكتبين اسمي.. وكنت تقولين إن القلوب هي قلبينا».

عاد ينظر إلى اللائحة، وتجنبت آني لقاء عينيه حين انتهى. كانت تشعر بتيار حميم بينهما، وكأن كلاهما تخلى لوقت قصير عن تحفظه تجاه الآخر.

سألت هامسة: «ما الذي جرى بيننا وكان خاطئاً؟ لماذا..؟».

وصمتت لتأخذ نفساً عميقاً قبل أن تعترف مرتجفة: «أحياناً أشعر أن قدري أن لا أحصل على ردود، فحياتي سلسلة من الاستفهامات والمساحات الفارغة».

غامت عيناها، وعرف دومنيك بديهياً بماذا تفكر.. فهو مثلها، يعي التقارب بينهما. كان يتفهم حاجتها الأساسية لاكتشاف ماضيها الضائع.

سألها: «أتعنين والديك؟».

هزت آني رأسها باكتئاب: «أتساءل دائماً عما إذا كانت أمي تفكر بي».

اعترافها العفوي لامس مشاعر دومنيك بطريقة لم يتوقعها. شعر بالاستجابة في أعماقه وكأنه لا يزال يحبها. حذر نفسه منها، ولكنه تجاهل المنطق وهو يقول بلطف: «أنا واثق من أنها

تفكر بك».

كان يقول دائماً إن الأم التي تهجر طفلة رضيعة، لا بد وأن تكون صغيرة جداً، وخائفة.. غير ناضجة أبداً، تخاف أن تعترف بالمسؤولية.. وأحس دومنيك بثقة أنها حين نضجت، لا بد بدأت تتساءل بحزن عن طفلتها التي هجرتها.

انفجرت آني بحرارة: «لا يمكن أن أفعل هذا بطفلي.. أبداً.. ولا تحت أي ظرف كان.. لا أستطيع فعل هذا لأحد..».

وصمتت محمرة الوجه.. ما الذي دفعها إلى مثل هذا القول؟

عادت تسأل: «هل أستطيع أن أسأل..؟».

وصمتت مجدداً، ثم عادت للكلام بسرعة كي لا تفقد شجاعتها أو تغير رأيها.

- هل يمكن أن تخبرني كيف كان الحال معنا.. ونحن متزوجين؟ ربما سيساعدني هذا على التذكر.. فأنا لا أعرف...

أوضح لها باكتئاب: «كان.. كان جيداً جداً.. في الواقع..».

ونظر بصمت إلى البعيد خلفها، وكأنه يرى شيئاً لا تعرفه. وأكمل: «لقد كانت علاقتنا أكثر تقارباً آني.. كان.. كنا..».

كان صوته معبراً ولمحت الألم في عينيه، فغمرها الأسى والندم.

قالت محتجة: «أوه.. دومنيك.. أنا..».

ونظرت إليه.. إلى عينيه، وفمه و.. وخفق قلبها.

- آني..

وسمعت الاحتجاج في صوته، ثم ودون سابق إنذار اقتربا من

بعضهما، يتلامسان.

أحست آني أنها رفعت من المقعد وجذبت نحوه، لم يكن لديها إرادة على المقاومة.. كما أنها لم تجد عذراً لرفضها. أحست بيديه ترتجفان قليلاً وهو يزيح شعرها عن وجهها.. ربما تشاركا في اللحظات الحميمة، لكن آني عرفت بالبديهة أن هذه المرة مختلفة.. مميزة.. فما يشعران به ويتشاركانه، لم يكن مجرد إعادة تمثيل لما جمعهما.

فدومنيك الذي يلامسها ويحتضنها، ليس وليد خيالها.. وليس حتى زوجها الذي كان في الماضي. إنه الرجل الذي معها هنا.

على ضوء المصباح، رأت وجهه، مغطى بالظلال وغامضاً.. وفي الوقت ذاته، مألوفاً. مررت أصبعها على فكه، واستدارة وجنته، ثم توقفت وهي ترى كيف كان ينظر إليها. بدا لها أن الزمن توقف.. فلا صوت، لا حركة، ولا نفس يقطع تواصلهما الصامت.

ببطء وحذر شديدين، أحنى دومنيك رأسه نحوها.. أغمضت عينيها بترقب. وأحست بدفئه، فبدأت ترتجف. وأفلتت منها آهة ممزقة الصمت بينما يداه تنزلقان فوق جسمها.

أدركت حينها لماذا جذبتها القلوب الصغيرة المرسومة عليه.. إنها تكرار للقلوب التي رسمتها على نقاط اسم دومنيك.

ارتجف دومنيك وهو يشعر باستجابتها للمسته، وما بدا كمحاولة لإظهار عمق العلاقة بينهما، انقلب بسرعة إلى شيء

أعمق، وتجذر في الحاضر. فالمرأة التي يحتضنها، ويريدها.. لم تكن الفتاة التي تزوجها. إنها المرأة التي يريدها الآن.. لقد بددت شدة رغبته فيها ذكرياته الأليمة.

كان يعي الخطر الذي يحدق به، ولم يعد قادراً على إنكار أنه يقع في حبها من جديد.. متناسياً مركزه في حياتها ووضعها الصحي.

يجب أن يتوقف قبل فوات الأوان..

أجفلت آني بارتباك لابتعاد دومنيك عنها.. كان يتنفس بثقل، واستطاعت أن تشعر بقلبها ينتفض بقوة استجابة له.

فقالت محتجة بشوق: «دومنيك».

لكنه أبعد نفسه عنها بنزق.

أعلن بقسوة: «نحن نلعب بالنار آني. وهذا أسهل شيء في الدنيا.. ولكن..».

أحست آني باشتعال وجهها، فبقدر ما كانت متشوشة، عرفت أنها لا تستطيع إنكار ما يؤكده.. فما بالها؟ أين كرامتها؟ لماذا ترمي نفسها عليه، وتتوسل إليه ليحبها؟

أعلنت باعتزاز: «أنت على حق.. ولأكون صادقة.. لا أدري لماذا انتهى زواجنا. فحتى لو تذكرت، لن يغير هذا شيئاً. أعتقد أن من الأفضل لنا طلب الطلاق».

ماذا ستفعل لو تمسك بها معلناً استحالة إفلاتها؟

الآن فقط أدرك أن رغبته في فهم سبب تركها له، حل مكانها حاجة أكثر إلحاحاً ليكتشف ما الذي سار خاطئاً كي يعيد تصحيحه. ولم يكن يركز على الماضي وعلى رسميات إنهاء

الزواج، بل على الحاضر، والمستقبل. إنه يريد إقناع آني بأنهما قادران على العيش معاً.

سألها متحدياً بحدة: «الأفضل لمن؟ ليس بالنسبة لي، لا يزال هناك ما أريد استيضاحه منك آني.. وإلى أن أحصل عليه..».

صمت ليأخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع: «اسمعي.. هذا الجدال لن يوصلنا إلى شيء.. وأقترح أننا قد نتمكن من مناقشة كل شيء بتعقل أكثر في الصباح».

إنه على صواب، وعرفت آني هذا، وأحست بمشاعرها تتوتر. كانت تتشوق إليه وهي غاضبة منه في الوقت نفسه. وليس من حقه أن يجعلها تشعر هكذا.

وبعد نصف ساعة كانت آني في غرفتها، تستعد للنوم. تسللت دمعة على خدها وهي تتذكر دون إرادة منها التقارب الذي أحست به بينهما قبل قليل. هل هكذا كانت الأحوال بينهما؟ هل كانا قريبين إلى هذا الحد ومتناغمين لدرجة فقدان الإحساس بالزمن والوقت؟

ملأها إحساس بالضياع والوحدة.. إحساس غريب جعلها تبكي الحب الذي دمرته بطريقة ما.

وفي اليوم التالي طالبت آني بعناد: «قل لي مرة أخرى.. كل شيء.. كل شيء.. بدءاً من لحظة لقائنا».

تنهد دومنيك، وتفحص وجهها الشاحب. كانا يعاملان بعضهما بتحفظ منذ تلك الليلة، وتألم قلبه بعد أن رأى الطريقة التي كانت آني تحاول فيها استعادة ذاكرتها.

كانا يسيران قرب النهر.. وفجأة صاحت آني بذهول حين تقدم زوجان شابان على الدراجات خلفهما، يطلقان الزمور مما جعلها تتعثر.

آلياً، مد دومنيك يده يمسك بها، وقطب لإحساسه بالطريقة التي ارتجف فيها جسمها تحت ذراعه.

سألها بقلق: «هل أنت على ما يرام؟».

قالت معترفة: «لقد فاجآني».

وبدأت أسنانها تصطك وأخذت ترتجف بعنف ما دفع دومنيك إلى التمسك بها.

وبدأت تسأله: «قلت إننا التقينا.. متى؟».

لكن دومنيك رفض الانجرار، وقال بحدة: «أنت لست بخير.. وأعتقد..».

قاطعته بصوت مرتفع متوتر: «لا يهمني ما تعتقد دومنيك. كل ما اهتم به هو أن أعرف لماذا تركتك ثم تابعت حياتي».

زاد اهتمام دومنيك بها، كان قلقاً من أنه لو لم يتخذ موقفاً، فالضغط الذي تمارسه على نفسها، سيجعلها مريضة حتماً.

باتت كل يوم الآن، تصر عليه أن يخبرها بتاريخ علاقتهما، وتطالب أن تعرف أدق تفصيل، وتصغي إليه بيأس متزايد، عاجزة عن تذكر أي شيء يقوله.

وسألت بعجز: «لماذا لا أستطيع أن أتذكر؟ لماذا.. لماذا؟».

كانت تبدو معذبة، وأراد دومنيك أن يواسيها.

ـ لا تفعلي هذا.. لا تدفعي نفسك بهذه القسوة.

ثم وهي تدير رأسها، لمح الدموع على رموشها، وكان هذا كثيراً على سيطرته على نفسه.

تأوه: «آني.. آني».

ومد يديه إليها.

بذعر، أجفلت آني للعذاب الحميم بين ذراعيه، وارتجف جسمها بعجز شوقاً له. إنها تريده كثيراً.. تحبه كثيراً.. كيف يمكن أن تنكر؟

احتجت بدفاع عن نفسها: «لا دومنيك».

لكن الوقت كان قد فات على الاحتجاجات، وانفرجت شفتاها بضعف وهو يمسح الدموع عن جفنيها.

تعانقا دون وعي، يتشاركان مشاعر حبيبين جديدين. لكنها لم تستطع تركه يخمن شعورها.. فكرامتها منعتها من ذلك.

بطريقة ما، تمكنت من أن تجد القوة لتدفعه بعيداً.. وهي تستدير عنه، أظلمت الدنيا ودارت وترنحت حولها.

ـ آني...

وسمعت اللهفة في صوته وهو ينادي اسمها. لكنها، بطريقة ما، كانت تبتعد عنه لتكون في مكان آخر.. وبعد آخر.. واستعادت ذكرى حية لمناسبة أخرى سارت فيها إلى جانبه قرب النهر.. وأخذت آني نفساً عميقاً في شهقة مؤلمة حادة.

أصر دومنيك عليها: «آني.. ما الأمر؟ ماذا جرى؟».

بغموض، ركزت آني عليه.. فالصورة الذهنية تلاشت الآن مخلّفة وراءها الذكرى.

ردت كارهة: «أنا.. نحن، كنا نسير هنا. وعانقتني..

ثم..».

وصمتت تنظر إلى الخلف من حيث أتيا باتجاه المنزل.

قال دومنيك: «ثم، همست لك أنني أريد أن أعيدك إلى البيت لأنفرد بك، ونظرْتِ إلي.. و..».

قاطعته: «لا أريد سماع المزيد».

وجف فمها وبدأ قلبها يتسارع.. فالصور التي أيقظتها كلمات دومنيك الهامسة جعلتها تشعر بضعف شديد.

كانت تصرّ أسنانها مصممة على التذكر، فكل يوم تقضيه مع دومنيك، كل ساعة، تجعلها تعي أكثر فأكثر الخطر الذي هي فيه. قد لا تعرف لماذا تركته، لكنها عرفت بالتأكيد لماذا وقعت بحبه.

هذا الصباح فقط، وفي غفلة منها، جعلها تضحك لوصفه لحادثة جرت في العمل. وأقلقها أن تكتشف أنهما لا يتشاركان الذوق نفسه في الطعام وحسب، بل أنهما يقرآن الصحيفة ذاتها، ويحبان الريف ويتمتعان ببرامج التلفزيون نفسها..

قال لها دومنيك فجأة: «تعالي.. سآخذك إلى البيت. اطمئني لست على وشك تكرار ماضينا..».

وصمت. توقفت آني عن السير ونسيت مدى تأثيره عليها وهي ترفع عينيها إلى وجهه، وتشعر بقلبها يخفق داخل ضلوعها.

ـ أنت مرهقة.. لا.. لا تحاولي الإنكار.. أرى هذا في عينيك.. أنت تجهدين نفسك بقسوة.

قالت باختصار: «أنت من يريدني أن أتذكر».

تجاهل الرد على عدوانيتها الدفاعية، وقال بهدوء: «أعتقد أننا اتفقنا على أن كلينا يحتاج أن يعرف الحقيقة.. تعالي دعينا نعود

إلى البيت».

البيت! وبسرعة رمشت دموعاً في عينيها.. لقد أحست بالرهبة تغمرها حين أدركت أن منزل دومنيك سيكون بيتاً لها. وقال لها مداعباً: «حسن جداً.. أنت تتوقعين أن نعيش معاً إذاً؟».

وتنفست: «أنا.. أنا.. إنه كبير جداً».

وحاول طمأنتها: «إنه مجرد منزل آني.. هذا كل شيء.. ومع وجودك فيه يمكن أن يصبح «بيتاً» حقيقياً».

بيت.. بيتها.. أول بيت حقيقي عرفته يوماً.. قام دومنيك بما في وسعه لجعلها تشعر أنه بيتها.

أخذها للتبضع، مصراً على أن تختار بنفسها ديكوراً جديداً لغرفة نومهما وشجعها على الثقة ببديهيتها وبذوقها. ابتسمت له باكتئاب، مستعيدة الساعات التي أمضتها تفتش في الكتب عن الطراز المناسب للمنزل.

قالت دون وعي: «الحرير الصيني سيكون رائعاً.. لكنني كنت خائفة لأنه كان غالي الثمن».

ونظر كلاهما إلى الآخر.. ثم، دون أي تردد قال دومنيك بسهولة: «لستائر غرفة النوم؟ أجل، لكانت بدت رائعة.. خاصة لو تركتني أشتري ذلك السرير بأربعة قوائم».

وأغمضت آني عينيها ببؤس.

قالت بصوت حذر: «ماذا دهاني؟ لماذا أستطيع أن أتذكر شيئاً غير هام مثل قماش الستائر التي لم أخترها، بينما لا أتذكر أهم شيء على الإطلاق؟».

ساد صمت قصير قبل أن يرد باكتئاب: «ربما أقل إيلاماً أن تتذكري لماذا رفضت الحرير».

ولم يقل شيئاً آخر.. لم يكن بحاجة أن يقول، كما أدركت آني. فما ألمح إليه أن رفضها له كان شيئاً قاسياً عليها، ولا تسمح لنفسها أن تتذكره، وعرفت أنه مصيب على الأرجح.

من بين كل الأسئلة التي طرحتها عليه، هناك سؤال لم تجرؤ على طرحه.. لكنها أحست الآن أن عليها أن تفعل. لامست ذراعه مترددة، وسألت بصوت أجش: «لماذا تعتقد أنني تركتك؟».

في البداية ظنت أنه لن يرد.. فالتعبير الكئيب الذي كسا وجهه، جعلها ترتجف قليلاً.

قال من بين أسنانه تقريباً: «كم مرة سألت نفسي هذا السؤال؟ لم أتمكن من إعطاء نفسي رداً، لا أستطيع التفكير بأي تفسير منطقي. كنت متكدرة لأنني كنت سأسافر، وتشاجرنا حول هذا. قامت بيننا سلسلة شجارات مؤسفة سببها فراقنا الوشيك».

ـ لكنني كنت أعرف منذ البداية أنك مضطر للسفر.

وفاجأت نفسها بالدفاع عنه، ولامست ابتسامة ساخرة شفتيه، وقال لها: «أنت تلعبين دور محامي الشيطان.. وأنا أوافقك في هذا. ولكن هذا لم يمنعني من الإحساس بالذنب لتركي لك».

أصرت: «لم يكن لديك خيار..».

انقلبت زوايا فمه إلى الأسفل.

ـ هناك دائماً خيارات.. كان بإمكاني أن أفسخ العقد.. وأن أبقى إلى جانبك.. لقد كنت صغيرة جداً على تحمل مثل تلك

المسؤولية.

وصمت، مفتشاً عن كلمات لا تغضبها: «كنت بحاجة إلى الأمان، إلى الإحساس بأنك مرغوبة.. ربما أكثر مما كنت أتصور.. ربما..».

أكملت آني كلامه متجهمة: «ربما، هذا ما جعلني أهرب غاضبة؟».

وأضافت قبل أن يمنعها: «كطفلة تطالب بالحنان، وتتلاعب لتحصل عليه.. هل هكذا كنت دومنيك؟».

حاول طمأنتها: «لا.. لا.. أبداً».

ـ لكن هذا ما تعتقده.. أليس كذلك؟ أنت تظن أنني تركت لأنك كنت ستسافر، لمعاقبتك على تركي، لكن هذا أمر طفولي جداً.

قال: «هذه إمكانية. لقد كنت صغيرة جداً.. وفي عمر لا تستطيعين فيه التمييز بين الافتتان والحب».

قطبت آني.. ولو ان تفسيره بدا معقولاً، إلا أنها لسبب ما لم تستطع أن تتقبله، وضايقتها معرفتها الداخلية بذلك.

قال دومنيك: «أنت مرهقة. وتحتاجين إلى حمام ساخن ثم إلى الخلود للراحة.. سآتيك بعشاء خفيف على صينية و..».

قاطعت كلامه بجفاء: «وهل ستقرأ لي قصة قبل النوم؟ لم أعد طفلة دومنيك».

ـ لا.. لست طفلة.. وعلى أي حال، أليس من المفترض أن تكون لهذه القصص نهاية سعيدة؟.

وكان صوته حاداً كئيباً آلم مشاعرها، فحبست أنفاسها.

قد لا يكون هناك نهاية سعيدة لقصتهما إلا إذا.. إذا قال لها دومنيك إنه لا يهتم بما حدث في الماضي، وإنه يحبها الآن ولن يتركها تذهب؟ هل هذا ما تريده حقاً؟ إنها تريده هو، دومنيك.. حبيبها، زوجها، قدرها، وأدركت هذه الحقيقة المؤلمة.

قال دومنيك لآني وهو ينهي فطوره: «يجب أن أذهب إلى المكتب، وقد أبقى لوقت متأخر».

أشاحت آني بوجهها.. فرائحة قهوته أشعرتها بالغثيان وانقبضت معدتها باحتجاج.. كما حصل لها في الأيام الثلاث الأخيرة.

وأضاف: «هل ستكونين على ما يرام هنا لوحدك؟».

أكدت له: «سأكون بخير».

كانت حروق ذراعها قد شفيت تماماً، حتى أن دومنيك اضطر إلى موافقة الطبيب أنها معافاة.

ونظر إليها عبر المائدة، وقال بهدوء: «هناك شيء أريدك أن تعديني به».

وتنهدت آني: «إذا تذكرت شيئاً، أعدك أن أطلعك عليه..».

لكنه أوقفها بهزة من رأسه: «لا.. لم أكن سأطلب منك هذا».

همّ بإمساك يدها، ثم أوقف نفسه ونهض ليقف مديراً ظهره لها: «أريد أن تعديني آني.. أن لا تختفي مرة أخرى.. عديني».

كان خائفاً من أن تتركه وهو غائب.. حدقت آني بذهول إلى ظهره المستقيم.. كتفاه عريضتان، وقفته مستقيمة، توحي بالسلطة والرجولة. من المستحيل أن تصدق أنه ضعيف أمامها،

لكن كلماته كانت تروي قصة مختلفة.

سألته بصوت أجش: «وإذا لم أعدك؟».

استدار إليها، مؤكداً بحزم: «إذاً.. لن أذهب».

رمشت آني عينيها بدهشة.. لو أن من المهم له كثيراً أن تبقى، إذن.. لا.. إنها تترك العنان لمخيلتها ومشاعرها غير أنها ذكرت نفسها بأنه يريد أن يصل إلى سبب تركها له فقط.

قالت بتردد: «سأبقى».

وهي تنظر إلى التقويم على جدار المطبخ، أدركت فجأة أنها هنا معه، منذ أكثر من شهر!.. وبدأت معدتها تتقلص.. أكثر من شهر!..

ما إن خرج دومنيك حتى هرعت إلى الروزنامة تعد الأيام بدقة. وأحست بالغثيان وصدمتها الحقيقة.

دون وعي، استدارت مبتعدة عن التقويم.. وارتجفت يداها وهي تأخذ الهاتف لتخابر هيلينا.. وقبل أن تطلب الرقم، أقفلت السماعة بسرعة.

لا يمكن أن تشارك مخاوفها مع أحد.. ليس بعد.. ليس قبل أن تتأكد. يمكنها أن تذهب سيراً إلى البلدة.. فهي ليست بعيدة كثيراً. هناك صيدلية عند أسفل التل وستشتري ما تحتاج إليه.. وبما أن سيارة هيلينا معطلة فقد أصرت آني أن تعيرها المرسيدس، مما يعني أنها لا تملك وسيلة نقل الآن.

بعد ثلاث ساعات، وقفت في الحمام مخدرة الحس تنظر بعدم تصديق إلى فحص الحمل الذي أجرته لتوها.. هذا هو الفحص الثاني، الذي يُظهر نتيجة إيجابية.. إنها حامل..

وسيكون دومنيك.. دومنيك! فجأة بدأ الحمام يترنح من حولها، ومدت يدها غريزياً إلى باب غرفة الدوش لتدعم نفسها وهي تهمس بصوت أجش.. «لا!».

خليط مشوش من الصور كان يتشكل داخل رأسها.. أصوات، صور، ذكريات.

بطريقة ما، تمكنت من أن تصل إلى غرفة النوم قبل أن تنهار فوق السرير.. الباب الذي كان موصداً على الماضي، انفتح فجأة.. وعرفت الآن الرد على سؤال دومنيك.. أوه.. أجل.. أصبحت تعرف!

إنها تحمل طفل دومنيك.. تماماً كما ظنت وخشيت أن تكون منذ تلك السنوات الطويلة، لكنها كانت مخطئة حينذاك.. أما الآن..

وأغمضت آني عينيها معذبة.

سألته يومها بخوف مصدوم: «أنت لا تريد أولاداً؟».

ورد عليها بتركيز بارد: «لا.. لا أريد».

وصدمت. كانت تخشى نسيان تناول حبوب منع الحمل، وهي تعرف أن مجيء طفل بمثل هذه السرعة في الزواج لم يكن مخططاً له.. شعرت بالرهبة لما قد يعنيه وجود طفل.. احتاجت بيأس إلى دعم دومنيك وحبه.. لكن ردة الفعل التي تلقتها منه، قضت على آمالها بتقبله الواقع.. لقد دمر ثقتها به.

وأجبرت نفسها على سؤاله: «لكن، لماذا لا؟».

وفاجأها تصريحه الفج: «الأبوة ليست في إنجاب طفل.. بل إنها مسؤولية كبيرة جداً.. حين نكوّن طفلاً، فنحن لا نعطيه

الحياة فقط، بل نحمّله، تاريخنا الشخصي وأوجاعنا. وفي الوقت الحاضر أشعر أننا لا نستطيع إعطاءه شيئاً».

تاريخهما الشخصي. وعرفت ماذا يعني طبعاً. كان يشير إلى واقع أنها مجهولة الأبوين.. أي نوع من الجينات قد تمررها إلى طفله.. هذا ما كان يعنيه.. كان يخشى على طفله من دمها الفاسد.

أحست آني بأن جزءاً منها مات وتحطم.. لقد صدّقت دومنيك تماماً حين قال لها إنه يحبها هي.. وإن تاريخها لا يهمه، لكنه كان يكذب عليها.

حين حاولت بتردد أن تعبر له عن مخاوفها من أن تكون حاملاً.. أفحمتها ردة فعله، فسألته شاحبة الوجه: «إجهاض! تعني أنك تريد قتل طفلنا؟».

رد بغضب: «آني بحق الله، توقفي عن السخافات».

رطبت آني شفتيها الجافتين.. لم تكن قادرة على استيعاب ما حدث.. كيف أن حبها، حياتها، مستقبلها، ثقتها، وفي أقل من أربع وعشرين ساعة، وبضع كلمات حادة، تدمرت.. مع إصرار دومنيك على الإجهاض.

شعرت بخدر في أحاسيسها، حاولت أن تفهم ما حدث. كان دومنيك يتحدث إليها محاولاً إقناعها بالتعقل، وبدا الأمر وكأن حاجزاً غير مرئي بينهما.. لم تعد ترغب في تنفس الهواء الذي يتنفسه، شعرت بالنفور منه.. لطالما ادعى حبها، ولكنه كان يكذب.. فهو لا يريد طفله.. أو أن تكون أماً لهم.. إنه قلق على الإرث الذي يمكن أن تعطيه لهم.. قلق من أن تلوثهم بالدم

الفاسد الذي تحمله.

فجأة أصبح غريباً بالنسبة لها، غريب يهدد حياة طفلها.. طفل ستقاتل من أجله، حتى آخر نفس في حياتها.

لن تتخلى عنه أبداً كما فعلت أمها.. يا للطفل المسكين.. لِمَ يجب أن يتعذب لأنها أمه؟ لن تستطيع البقاء الآن مع دومنيك. لأجل طفلها.. يجب أن تتركه.. ودارت أفكارها بسرعة في خاطرها وغرقت في دوامة كانت تمتصها نحو الظلام.

في تلك الليلة، جافاها النوم فيما تناول دومنيك دواءً للصداع.. أنبأها المنطق أن أفضل شيء تفعله هو الانتظار حتى يغادر البلاد ثم تختفي من حياته.. لكنّ سفره كان بعيداً، وخشيت أن لا تستطيع العيش معه لهذه المدة دون فضح نفسها.

واندفعت بيأس في الفراش، ووضبت حاجياتها.. وتركت المنزل.

* * *

٩ ـ مفاجأة مزدوجة

مر أكثر من أسبوعين على هجرها لدومنيك.. وبعد وقت قصير جداً سيغادر البلاد، من المحتمل أن لا يلتقيا مرة أخرى.

لم تعرف سبب عودتها إلى هنا.. إلى البلدة التي ولدت فيها.. وحجزت لنفسها مكاناً في الدرجة الثالثة، على أي حال إنها مسؤولة الآن مالياً عن نفسها.. وذهبت إلى المكتبة العامة، وأعادت قراءة خبر إيجادها مهجورة وهي طفلة.. المرأة المسنة التي وجدتها كانت قد ماتت منذ سنوات.. وكما تعرف، لا مجال أن تعود إلى الماضي لتعرف بالضبط هويتها.. ولا يوجد كذلك سبيل إلى بناء المستقبل، كزوجة لدومنيك.

وارتجفت تحت الغطاء الرقيق لفراشها.

دومنيك!

إنها تشتاق إليه كثيراً، بالرغم من الجرح الذي أصابها به.

الوقت قد تجاوز منتصف الليل.. ماذا يفعل الآن؟ هل يفكر بها.. يتساءل.. بقلق؟ هل من الممكن أن يحبها كامرأة حتى ولو رفضها كأم لأولاده؟

كانت لا تزال صاحية عند تسلل الفجر إلى مقطورتها.

بعد بضع ساعات سيسافر دومنيك.. وانهمرت دموع ساخنة

غزيرة من جفونها المنغلقة. فكرة عدم رؤيته ثانية جعلتها تتمنى أن تموت.. لكنها لا تستطيع، لديها طفلها.. طفلهما، لتفكر به.

يجب أن تراه.. ولآخر مرة.. تراه فقط.. هذا كل شيء.. لن تقول شيئاً له.. لا تستطيع.. ستذهب إلى البيت لتراقبه يرحل.. تراقبه وهو يسير ليخرج من حياتيهما.. حياتها وحياة طفلهما.. الطفل الذي يعتقد أنها لا تصلح بما يكفي لتكون له أماً.

ركبت أول قطار يترك البلدة، يقوم برحلته البطيئة عبر الريف. في سيارة دومنيك، ويداه على المقود، يمكن أن تصل في ساعتين.. لكن لا يوجد خط قطار مباشر من مسقط رأسها، بل سلسلة من الوصلات المعقدة.

كانت تنتظر القطار الذي سيأخذها إلى آخر مطاف رحلتها، بعدما اكتشفت أن هروبها كله، بلا فائدة.. وأنها لا تنتظر طفلاً منه. لقد كان حملاً كاذباً.

وجففت الدموع التي ذرفتها. ولفرط انفعالها، لم تستطع أن تدرك القطار.

بكلل، ركبت القطار التالي. لم تعد الآن تحمل طفلاً ليبقيها منفصلة عن دومنيك، أحزنها إدراكها لواقع أنه لا يعتبرها صالحة بما يكفي لتلد له أولاده. لو استطاعت الوصول إليه قبل أن يغادر، يمكن أن تقول له إن زواجهما انتهى، وإنه حرّ في أن يجد امرأة يعتبرها صالحة بما يكفي.

لزم الرحلة وقت أطول مما توقعت.. فالقطار الذي فاتها كان

سريعاً، بعكس القطار الذي ركبته والذي كان يتوقف عند كل محطة.. عندما ترجلت أخيراً من القطار، كانت تعرف أن دومنيك في طريقه إلى مطار هيثرو.

دون أن تعرف ماذا ستفعل، حاولت اجتياز رصيف المشاة.. ولم تفطن للسيارة المسرعة أمامها.

***

بارتجاف، مسحت آني الدموع من عينيها بظاهر يدها.

لا سبب يدعو للبكاء زمناً.. فهو لن يجدي نفعاً بعد الآن.

أحست بتصلب جسمها وبرودته، وحين نظرت إلى ساعتها، صُدمت لرؤيتها كم من الساعات انقضت منذ دخلت الحمام.

الآن، فقدت الإحساس بالأمان الذي كانت تشعر به وهي مستلقية هنا بين ذراعي دومنيك. لتنعم بحبه لها، وتبادله المشاعر؟ كانت لا تزال تشعر بطعم دموع ضعفها.. من المستحيل تدمير الحب التي بدأت تشعر به نحوه، إنها لم تتوقف يوماً عن حبه.. ولا للحظة واحدة.

لقد اتهمها بقوله: «لقد تركتني» لكن الحقيقة أنه هو الذي هجرها.

ولسوف تخبره بما اكتشفت طبعاً. له الحق في أن يعرف.. عن الماضي.. أجل، لكن ليس عن الحاضر وعن الطفل الذي تعرف بالتأكيد إنها تحمله هذه المرة، لا.. فهذا شأنها، وشأنها لوحدها، وتنوي أن يبقى هكذا. لقد كان يومها على حق في اعتبارها غير ناضجة وطفلة. لكنها لم تعد أياً من الاثنين الآن. إنها امرأة راشدة قادرة لوحدها على تحمل مسؤولية الحياة الجديدة

التي تنمو داخلها.

أغمضت عينيها، مصممة على أن لا تسمح لنفسها بالبكاء، فما الفائدة؟

منطقياً، عرفت أن عليها انتظار عودة دومنيك إلى البيت لتقول له ما تذكرته.. لكن اللهفة وغريزة محددة، قالت لها إنها لو بقيت معه لوقت طويل، فقد يخمن أنها تخبىء شيئاً هاماً عنه. مما حثها على إنهاء كل شيء بأسرع وقت ممكن.

ستوضب أشياءها، تستدعي سيارة أجرة تقلها إلى مكتبه ثم تذهب من هناك مباشرة إلى بيتها.

وقف دومنيك ينظر متجهماً من نافذة مكتبه. رغم انشغالاته الكثيرة في عمله، من الأفضل له أن يبقى في البيت، لأنه مكانه الطبيعي، فأفكاره هناك.. في البيت مع آني.. زوجته.. والمرأة التي تخلت عن حبه..

وأجبر دومنيك نفسه على مواجهة الحقيقة التي كان يحاول تجنبها.. إنه لا يزال يحب آني.. وأحبها كامرأة أكثر مما أحبها كفتاة..

في نضوجها أصبحت أكثر فأكثر، كل ما يرغب به. يجب أن يراها.. أن يتحدث إليها.. أن يقول لها كيف يشعر. بعد ذلك، إذا بقيت تطالب بحريتها، لن يبقيها معه بالقوة.

وخرج بسرعة من مكتبه متجهاً إلى الخارج.

تركت آني سائق التاكسي منتظراً وبدأت تشق طريقها عبر موقف السيارات وهي متوترة، متجهة إلى المكاتب الرئيسية في المبنى. كانت الساعة الخامسة وقد بدأ الموظفون بالمغادرة

متدفقين إلى خارج المبنى. فجأة جمدت وهي ترى دومنيك بينهم.

تلفظت باسمه من بين أسنانها «دومنيك!» وتجمد الدم في عروقها وفقدت أي إحساس آخر.. ها هو دومينيك، حبها الوحيد..

أدار دومينيك رأسه نحوها لاشعورياً وكأن قوة خفية تدفعه:

ـ آني..

ماذا تفعل هنا؟ وبدأ يتحرك نحوها.. كانت تحدق نحوه.

نادى اسمها: «آني!».

ثم أخذ يقلق لرؤيتها ترتجف، وكأنها تمثال عادت إليه الروح.

ـ آني..

من طرف عينه لمح دومنيك السيارة، المتجهة مباشرة نحو آني التي كانت غافلة عن وجودها.. وبسرعة تفوق العقل، وصل إليها وشدها فوقه وهو يقع على الأرض ويدحرجها بعيداً عن طريق إطارات السيارة الأمامية.

أحس باصطدامه بالمعدن الحاد، ودمدم بصوت مرتفع بدهشة، وأحس بخدر غريب في جسمه.. وبثقل.. وعلى مسافة منه، سمع صراخاً.. أصواتاً.. وعويل صفارة سيارة إسعاف، ثم غاب عن الوعي.

***

ـ آه.. لقد صحوت أخيراً.. عظيم.. سأذهب لأقول للدكتور سبيرس.

نظر دومنيك إلى الممرضة المبتسمة الواقفة قرب سريره.. والتي قالت له بمرح: «لقد كنت نائماً لمدة طويلة حتى أننا ظننا أنك لن تصحو».

وضغطت زر الجرس فوق رأسه.

أين هو؟ ما الذي يجري؟ ثم تذكر، وجاهد ليجلس متجاهلاً تحذير الممرضة والألم في جنبه وهو يسأل بلهفة: «آني.. زوجتي.. هل هي..».

ـ إنها بخير.. كذلك الطفل.

ـ الطفل؟ الطفل...

وأحس دومنيك بقلبه يخفق بثقل.. يطرق بقوة.

تفحصت الممرضة شاشة المراقبة إلى جانبه: «أوه.. لقد كانت زوجتك محظوظة بعدم إطلاعك على حملها، وإلا لكانت القصة مختلفة، لها وللطفل».

«آني حامل!»

أغمض دومنيك عينيه وبدأ جسمه يتصبب فجأة بالعرق وهو يدرك ما كان سيخسر.

سألها: «أين آني؟ زوجتي..».

ـ لقد أرسلها الدكتور سبيرس إلى البيت.. لم ترغب بالذهاب، بقيت جالسة هنا قربك أربعاً وعشرين ساعة. ولكنه أصرّ عليها.. فحملها المبكر ما زال في بدايته، ومن المهم أن لا ترهق نفسها.

أربعاً وعشرين ساعة.. لقد جلست آني معه طوال هذه المدة!

سأل: «منذ متى وأنا هنا؟».

ـ همم.. منذ ما يقرب اليومين، صدمة السيارة صرعتك. اضطر الدكتور سبيرز إلى إجراء فحص شامل لك، كان يخشى وجود ضرر دائم في ظهرك.. لكنك سلمت لحسن الحظ، كنت تفقد الوعي وتعود طوال بعد الظهر. ولكنني أعتقد أنك عدت معنا أخيراً.

قال لها: «أريد الذهاب إلى البيت».

وتحرك رامياً الأغطية عنه لينزل من سرير المستشفى.. ضحكت الممرضة: «إلى أين؟ وأنت موصول بإحدى آلاتنا الثمينة؟».

أدار دومنيك رأسه، فأدرك ما تعنيه.. تجعد جبينه مقطباً وهو ينظر إلى الأسلاك الموصولة بجسمه.

سأل باختصار: «إذا كنت سليماً.. فماذا أفعل هنا؟».

قالت الممرضة: «أنت تخضع للمراقبة.. ومع أنك لا تشعر بهذا على الأرجح، إلا أن جسمك لا يزال مصدوماً.. حين صدمتك السيارة لم تصب بكسور ولكن بكدمات، ستجد حتماً صعوبة كبرى في أن تتحرك لوقت طويل».

سألها بارتياب: «وكم سيطول هذا؟».

ـ حسناً.. آه.. اسأل الدكتور سبيرس.

وابتسمت لرجل دخل غرفة دومنيك للتو.

سأل دومنيك الطبيب بعد أن خرجت الممرضة: «أريد أن أعرف متى أستطيع العودة إلى البيت.. أريد رؤية زوجتي.. إنها حامل».

أكد له الطبيب: «أجل.. أعرف.. يا للفتاة المسكينة..

أظنها لم تعرف في البداية على من تقلق. ما أن اطمأنت على سلامة الطفل، حتى ركزت اهتمامها عليك. لقد أرسلتها إلى البيت فهي تحتاج للراحة».

قال دومنيك: «لا يجب أن تكون لوحدها.. فقد عانت من حادثة سيئة منذ سنوات و..».

قال الطبيب بلطف: «أجل، أعرف هذا. كنت في الخدمة حين جاءوا بها إلى هنا. لكنني أعتقد أن قلقك غير ضروري.. فغريزة الأمومة تقوّي عزيمة المرأة وقدرتها على التحمُّل».

كرر دومنيك: «أريد الذهاب إلى البيت».

فقال الطبيب بهدوء: «ليس بعد.. أريد أن أرى الكدمة تضمحل قليلاً أولاً. آه.. جيد.. هذه هي الممرضة مع الحقنة».

واحتج دومينيك بشدة:

ـ لا أريد...

لكن أوان الاحتجاج فات، وحقنت الممرضة المنوم في جسمه. وخلال ثوانٍ، كان يغط في نوم عميق بتأثير المخدر.

* * *

١٠ ـ نداء القلب

قالت هيلينا: «سيتمكن دومنيك من العودة إلى البيت اليوم».

ردت آني وهي تضع من يدها فنجان القهوة الذي صنعته لها هيلينا: «أجل أعرف.. لقد اتصلوا بي من المستشفى. وسوف أذهب لآخذه بعد الظهر.. و..».

قاطعتها هيلينا: «ومتى ستقولين له عن الطفل؟».

أشاحت آني بوجهها على الفور، وقالت بصوت متوتر: «لن أقول له».

ثم دافعت عن قرارها حين لم ترد هيلينا: «لا فائدة من هذا. لقد أخبرتك ما حدث من قبل. ما تذكرته.. ولا شيء تغير هيلينا».

ـ لا.. لا شيء تغير. أنت لا زلت تحبينه.. لقد اعترفت بهذا.

ـ أجل.. أجل.. أحبه.. لكن هذا الطفل..

وتحسست بطنها بحنان: «.. هذا الطفل.. طفلي.. يجب أن يكون أولاً هيلينا».

ـ سيخرجونه من المستشفى لأنهم يظنون أنك ستعتنين به،

فهو لا يزال مكدوماً بشكل سيء.

ـ أجل.. أعرف. وهذا ما سأفعله. ولن أظهر الطفل، أنا مدينة له بهذا القدر هيلينا.. على أي حال، لو لم يفعل ما فعل..

ـ لا داعي لتبرير قرارك لي، فأنا نصحتك بالتفكير به. وهذا الولد ولده كما هو ولدك.. وتعرفين هذا.

أصرت آني بشراسة: «لا.. إنه لي.. لن يريده، وأعرف هذا. وأذكر كيف كان الأمر من قبل».

ذكرتها هيلينا: «كان هذا منذ خمس سنوات».

ـ خمس سنوات.. أو من خمسون سنة... إن الفهد لا يغير النقاط على جلده.

ـ لا.. لكن الرجل ليس فهداً، فهو يمكن أن يغير رأيه.

ـ الرجل يستطيع.. أما أنا فلا.

مر أسبوع تقريباً على الحادثة، وآني تذهب كل يوم إلى المستشفى لرؤية دومنيك، وهي مدركة أهمية اتصالها بالعالم الخارجي.

أصبح الآن يقف على قدميه، ويسير، بالرغم من الألم الذي يعانيه. فهو لا زال يربط ساقه، حيث خدش لحمه بشدة.

سألها الطبيب في اليوم السابق: «هل ستتمكنين من تدبير الأمور؟».

لكن قبل أن تتمكن من الرد، أعلن دومنيك بحدة: «لن نضطر إلى هذا.. أستطيع أن أعتني بنفسي».

ردت آني، متجاهلة دومنيك: «أجل.. أستطيع تدبير الأمور».

الآن، وبعد التأكد رسمياً من حملها، عليها القيام بخطة ما. لكن هذه الخطة ستتوقف حين يتعافى دومنيك.

قالت له وهو يقفز على ساق واحدة نحو المدخل: «استند علي.. السيارة ليست بعيدة، لكن إذا أردت كرسياً متحركاً..».

قال بحدة: «ما أريده، هو أن تعامليني كراشد وليس كطفل، أستطيع أن أسير آني».

وحدها ذكرى كيف كانت تشعر وهي تستعيد عافيتها، مكنت آني من إخفاء الكلمات الحادة التي تصاعدت إلى لسانها.

وبدا لها متناسقاً بشكل مدهش لرجل بقي في المستشفى ما يقارب الأسبوع. كانت بشرته لا تزال سمراء، وجسمه لا يزال مفعماً بالرجولة... فشعرت بالارتجاف.

وهو يجبر نفسه كي لا يستسلم للألم من كدماته، تساءل دومنيك متى ستقول آني له عن الطفل، فهي لم تشِر إلى الموضوع. وكان يعي بغضب كم أن دوريهما الآن أصبحا معكوسين بشكل غير ملائم.. فهو من كان يجب أن يعتني بها، يرعاها، يحرسها، ويحميها.

قالت آني ما أن أصبحا في السيارة: «قال الدكتور سبيرس إنه من الأفضل لك أن تنام في الطابق السفلي في الوقت الحاضر».

كانت هذه سيارة دومنيك، لا سيارتها، لأن المقاعد أكثر راحة وهناك مجال ليمد ساقه فيها. ولو أنها كانت تفضل أن تقود سيارتها.

انفجر دومنيك غاضباً: «ما من مجال! بحق الله.. أنا لست عاجزاً! ولا أحتاج إلى من يدللني.. في الواقع..».

تحدته بحدة: «في الواقع ماذا؟ في الواقع تفضل أن أرحل؟ لكن الطبيب سمح لك بالخروج من المستشفى لأنني معك».

يريدها أن ترحل! نظر إلى خارج نافذة السيارة.. حين أخبروه كيف أصرت على البقاء بجانبه حتى شفائه، ظن، وأمل.. لكن منذ استعاد وعيه، بدلاً من أن يقتربا من بعضيهما أكثر، بدلاً من أن تتاح له فرصة أن يقول لها كم هو متأثر بحملها، ويريد رمي الماضي والبدء من جديد، بدا له أنها أقامت جداراً بينهما، لا تنوي السماح له بعبوره.

قالت وهي تدير السيارة إلى الطريق الداخلية للمنزل: «ها قد وصلنا.. ابقى هنا. سأذهب لأفتح الباب ثم أعود لأساعدك».

تركها دومنيك تصل إلى الباب، ثم فتح باب السيارة وكافح ليخرج.

الوقوف فوق حصى الطريق الداخلية كان بطريقة ما أقسى من الوقوف إلى جانب سريره في المستشفى وأكثر إيلاماً.. أما السير.. وبدأ يتحرك نحو المنزل وهو يصرّ على أسنانه.

أدركت آني ما كان يفعل بعد أن فتحت الباب واستدارت نحوه.

احتجت بحدة: «دومنيك!».

وأسرعت نحوه لتصله وهو يترنح بثقل إلى جانب واحد، ويتنفس بصعوبة.

قال بقسوة: «أنا بخير.. بحق الله.. توقفي عن الضجيج».

ـ أنت لست بخير.. كان يجب أن تنتظرني.

ـ أنتظرك؟

وشاهدت فمه يلتوي بمرارة: «وماذا سيفيدني هذا؟ وبماذا أفادني يوماً؟».

ولمحت وميضاً من الألم يلمع في عينيه، ولكن ماذا ينفع عذاب نفسها، وقد قال إنه لم يعد يحبها.

لو كانت ستفكر فقط بنفسها لاستسلمت للرغبة التي تشعر بها، لكنها مدركة أنه سيكون لديها حياة أخرى. فشعرت لتوها بقوة خارقة تتملكها، ومهما كانت الرغبة التي تجتاحها نحوه فهي لن ترضخ له.

قالت بهدوء: «دكتور سبيرس أعطاني حبوباً مسكنة للألم.. ما إن تصل إلى فراشك، سآتيك ببعضها».

وعندما أصبحا داخل المنزل، قالت له وهي تنظر إلى السلام: «يجب أن أعود إلى السيارة لأحضر حقيبتك، ثم سأساعدك لتصعد إلى الطابق العلوي».

رد بسرعة: «لا.. أستطيع الصعود لوحدي.. فلو استندت عليك فقد أؤذيك».

يؤذيها؟ وهل هو قلق عليها.. الآن؟ بعد كل ما فعله.. ولم تعرف آني هل تضحك أم تبكي..

بعجز، راقبته وهو يكافح بألم ليصعد السلم.. حين وصل إلى قمته، استند إلى الدرابزين متثاقلاً.. وأسرعت بلهفة نحوه. كانت ترى الألم يرتسم على وجهه.. فأمسكت ذراعه متجاهلة غضبه وهي تساعده ليدخل إلى غرفته.

قال: «شكراً لك.. لكنني أستطيع أن أخلع ملابسي بنفسي

إلا إذا أردت أن تراقبيني، بالطبع!».

بوجه يحترق خجلاً، هربت آني، وبخدين محمرين أسرعت إلى الطابق الأسفل.

في وقت متأخر من تلك الليلة، استيقظت على صوت صدر من غرفة دومنيك.. خرجت من السرير آلياً، وارتدت عباءتها وهي تسرع بلهفة نحو بابه.

آهة الألم التي مزقت أذنيها وهي تفتح الباب جعلتها تركض إليه.

كان مستلقياً في وسط السرير، والأغطية مدفوعة إلى الأسفل لتكشف جسمه نصف العاري.. والكدمات تبدو بوضوح على بشرته السمراء والرباط على ساقه.

أشاحت بنظرها مسرعة عنه، ومالت فوقه لتغطيه. فتح عينيه فجأة وأمسك ذراعها، وهمس بخشونة: «آني.. كنت أحلم بك لتوي».

ولعقت آني شفتيها متوترة قليلاً.

وأكمل دومنيك يقول لها بنعومة: «أنت جميلة.. جميلة جداً جداً».

كانت أصابعه تداعب ذراعها وتجعلها ترتجف..

قالت محتجة: «دومنيك.. توقف عن هذا.. أنت لست بخير.. ولا يجب..».

ـ لا يجب ماذا؟ لا يجب أن أغازل زوجتي؟ قالوا لي في المستشفى إنني قادر على فعل ما يحلو لي. وأنا أشعر أنني قادر على مغازلتك آني..!

آني التي له! إنها ليست هكذا الآن.. لم تعد هكذا، وهمست بصوت رقيق: «دومنيك.. توقف عن هذا».

لكنها بطريقة ما، كانت لا تزال تنحني نحوه، فسمحت له أن يجذبها إليه ليعانقها، يتلمسها، ويقبلها.

قال: «أذكر آخر مرة نمنا فيها معاً هنا».

واضطرت إلى منع نفسها من الرد: «وأنا كذلك».

لم تكن راغبة أن تقول له إنها ستتركه عندما يتعافى وإنها لا تريد أن تتشاجر معه. وأخذ يعانقها بطيش وبدأ رأسها يدور.

قال: «أتمنى لو أنك تتذكرين».

هل تتخيل الأشياء، أم أن يده بقيت أطول من اللازم على معدتها؟

أكمل بخشونة: «كنت أريدك يومها كثيراً، واليوم أريدك بالقدر ذاته، آني».

لا بد أن المخدر أثر فيه. وتسارعت دقات قلب آني، وأصبحت أنفاسها أقل عمقاً، استجابة للمشاعر التي كان يثيرها فيها.

قالت: «دومنيك.. لا».

همس: «آني.. بلى».

هذه أحلامها.. ذكرياتها.. شوقها، وكأنها ولدت من جديد.. وبدلاً من دفعه عنها، اكتشفت أنها تتمسك به.

سألها فجأة: «هل لا بأس عليك من هذا؟».

ـ أريدك أن..

كانت تنوي أن تقول «أن تتوقف» لكن صوتها فجأة توقف

وأكملت تقول له بعجز: «أريدك أن تحبني دومنيك.. أريدك أن تحضنني.. وأن تحبني».

فجأة شهقت آني ندماً..

ـ دومنيك.. ساقك.. كدماتك.

قال ممازحاً: «أية ساق.. أية كدمات؟».

وشعرت أنها قامت بعمل فادح، لا عذر له، وغمرت الدموع عينيها، لكن حين تحركت لتبتعد عنه، تمسك بها.

قال: «لا! أريدك هنا معي آني.. أريدك هنا.. أرجوك ابقي معي».

أرجوك ابقي! في العتمة، قاومت آني مشاعرها.. واعتبرت أنه يتصرف هكذا بسبب المخدر، لأنه يشعر بالضعف. وانتظرت إلى حين غط بالنوم وتسللت من تحت ذراعه والتقطت عباءتها.. وشعرت أن فراشها بارد وموحش.. وفارغ. وكلما أغمضت عينيها، كانت تراه.. وتحس به..

قطب دومنيك حاجبيه وهو يراقب آني عبر نافذة مكتبته.. كانت في الحديقة، حيث خرجت لتحصل على بعض النعناع للحم الغنم الذي تحضره لوجبتهما.. إنه في البيت الآن منذ عدة أيام، ولم تخبره عن حملها. منذ الليلة الأولى التي عاد فيها، ونام معها، كان الجو بينهما متباعداً ومتوتراً.. ولا يمكن أن يلومها على هذا.. فلديها كل الأعذار لتشعر بالغضب لأنه استغل طيبة قلبها. وهو يراقبها تسير ببطء، وعلى مضض، عائدة إلى المنزل، قرر أنها إذا لم تفاتحه بموضوع الطفل، سيفاتحها هو.

قالت آني محتجة بينما دفع دومنيك طعامه دون أن ينهيه:

«أنت لم تأكل اللحم؟».

قال باقتضاب: «لا. لست جائعاً آني.. هناك شيء..».

قاطعته بلهفة: «لكن لحم الغنم هو المفضل لديك».

وصمتت مكفهرة الوجه وهي تدرك ما قالته ورأت طريقة نظره إليها.. والغضب في عينيه.

ساد صمت طويل حاد قبل أن يسأل: «وهل تذكرت؟».

اضطرت أن تعترف: «أجل».

سألها بإصرار: «متى؟».

وكرر السؤال حين أشاحت بوجهها قبل أن ترد: «كان هذا.. كان هذا قبل حادثتك.. كان يجب أن أقول لك.. كنت سأقول لك.. لكن..».

أنهى لها كلامها بغضب: «لكنك فضلت أن تحتفظي بهذا لنفسك، أتساءل لماذا؟ لماذا تخليت عني؟ هل هذا بسبب نوبة غضب طفولية، أم لأنك أدركت أنك لا تحبيني حقاً؟».

ردت بهدوء: «لا».

تابع النظر إليها: «لا؟ لا؟ هل هذا كل شيء؟ أريد أن أعرف كل شيء آني».

نظرته الغاضبة جعلتها تنكمش، وقالت بكبرياء: «كل شيء؟ حسن جداً. سأقول لك «كل شيء».

الآن، دقت اللحظة الحاسمة أي المواجهة أو الحاجز الأخير الذي عليها أن تزيله قبل أن تضع حداً للجزء الذي يشمله من حياتها.. ضاع الارتياح الذي أملت أن تشعر به، ليغوص تحت ضغط مشاعرها الأخرى.

كان من الخطأ الاستسلام له، في الليلة الأولى التي عاد فيها من المستشفى.. فقد أثارت المشاعر، والأفكار التي لا قدرة لها ببساطة أن تتعامل معها.

ضغط دومنيك عليها عبر أسنان مشدودة: «حسناً؟».

هل يريد تفسيراً لتركها له؟ حسن جداً. سيحصل عليه، وأخذت نفساً عميقاً، ثم سمعت نفسها تقول بعاطفة جياشة: «سأتركك دومنيك.. لا أستطيع البقاء هنا أكثر من هذا.. ولست مدينة لك بأي تفسير.. ولا داعي لنا أن نكون معاً بعد الآن».

سأل بخشونة: «ماذا؟».

ومال عبر الطاولة واضعاً راحتيه فوقها وعلى جانبي آني: «أعتقد أنه لدينا سبب وجيه ممتاز للبقاء معاً.. الطفل.. طفلنا».

شهقت آني.. إنه يعرف.. كيف؟ ومتى؟

قال لها: «لقد قالوا لي في المستشفى».

قالت متصلبة تنظر بعيداً عنه: «إنه ليس طفلك.. إنه لي».

ثم ابتسمت متوترة: «أترى.. أنا لم أنسَ».

وأخذت نفساً عميقاً: «لقد تذكرت بالضبط لماذا تشاجرنا دومنيك. وما قلته لي.. حول.. حول أنك لا تريدني أن أحمل طفلك.. وأنك تريدني أن أجهضه».

ابيضّ وجه دومنيك شحوباً: «ماذا؟».

واستدار حول الطاولة إلى جانبها وأمسك ذراعيها، وهزها هزة خفيفة عاطفية وهو يسأل: «كنت حاملاً يومها؟ أنت..».

اعترفت آني: «لا.. لا.. لم أكن. لكنني ظننت أنني كنت. وخفت، قلت لي إنك لا تريدني أن أحمل بطفل منك بسبب

خلفيتي العائلية، بسبب دمي الفاسد.. ولهذا أنا.. أنا.. حاولت أن أقول لك، لكنك لم تصغ.. أنت..».

اعترض دومنيك: «ماذا؟ أنا لم أقل مثل هذا الكلام».

قالت بإصرار: «لقد قلته.. قلت إنك لا تريد أن تحمل طفلاً بـ..».

- بأب لا يستطيع أن يكون موجوداً لأجله، أب يضع عمله قبله، كما فعل والداي.. أعرف كيف الإحساس بأن يكبر الولد وهو يدرك أنه ليس محبوباً من والديه.. هذا هو الحمل الذي كنت أشير إليه. وليس..

وصمت.. وبدا الشحوب على وجهه، ثم هز رأسه محتجاً: «آني.. كيف يمكن أن تظني.. أن تؤمني؟ لقد أحببتك. ولا أعتقد أننا كنا مؤهلين لهذه المسؤولية.. وربما بالغت بردة فعلي.. لكنني لو فكرت للحظة واحدة أنك ظننت نفسك حاملاً.. وأنك تريدين الطفل خوفاً من أن تبقي لوحدك.. أنا لم..».

الحقيقة صدمته وأرهبته.. وأدرك أنه جرح كذلك.. لكنه أجبر نفسه أن يضع هذا الشعور جانباً، وأن يتذكر آني كما كانت يومها. أن يفهم ويتذكر كيف شعرت حول والديها المجهولين.. وأخذ نفساً عميقاً.. بطريقة ما، عليه أن يجد وسيلة ليطمئنها، ليقنعها.. ليظهر لها بالضبط كم كانت مخطئة.

- لا يهمني من هما والداك.. المهم أنك أنت.. شخص رائع مميز، يحمل منطقياً شيئاً من كليهما في جيناته.

مد يديه يحيط بوجهها قبل أن تتحرك بعيداً.. عيناه زادتا

سواداً بشدة مشاعره وهو يقول لها: «أنت لا تعرفينهما آني.. لكنني أعرف أنني سأكون فخوراً بهما كجدين لابني كما أنت أماً له، وبما تحملينه من صدق، حنان، منه شجاعة وذكاء.. وأكثر من أي شيء آخر.. بحبك».

صمت قليلاً، ثم أكمل: «أتمنى لو أستطيع قول الشيء ذاته عن إرثي الجيني.. كان والداي دون تفكير، أنانيان، عنيدان، مشغولان جداً بمصالحهما.. وكنت لهما عائقاً لا يريدانه حقاً.. ومصدر إزعاج. ووضعاني تحت رعاية جدي وجدتي.. اللذان اعتنيا بي كواجب عليهما.. هذا هو الإرث الذي لا أريده لطفلي».

وهي تتفحص وجهه، عرفت آني أنه يبوح بالحقيقة واغرورقت عيناها بالدموع.

مال دومنيك إلى الأمام يريد تقبيلها، لكنها ذعرت وانسحبت بعيداً. إنها تحتاج إلى وقت لتستوعب ما قاله لها، لتتقبله وتتقبل أنها أساءت الحكم عليه، وأنها تركته.. وحطمت زواجهما وحبهما دون سبب.. فهل هناك طريقة تجعلها تتقبل فظاعة ما فعلت؟

تركها تبتعد بصمت، وكان هذا بسبب كل ما سار خطأ بينهما، وحتى الآن لا يستطيعان المشاركة بمشاعرهما.. فهناك حواجز بينهما.

قد يكبر الحب بسرعة، لكن الثقة مسألة أخرى.. فالثقة نبتة بطيئة النمو وتحتاج إلى الرعاية.. غلطته كانت أنه لم يرَ ولم يستجب لحاجة آني بتلك الرعاية الحذرة. وردة فعلها كانت نتيجة

الخوف من أفكاره.

لم تكن آني تدري ما الذي يؤلمها أكثر.. معرفتها أن حبهما قد انهار إلى الأبد، أم اكتشافها لعدم ثقتها بنفسها أم خوفها من المجهول ومن ماضيها، الذي قادها إلى الدمار.. لكن الأسوأ من هذا، هو الألم الذي ستتسبب به لطفلها، الذي سيكبر بدون التوافق بين والديه.

إنها تحب دومنيك.. بالكامل، وتماماً، ودون تراجع، ودون إمكانية استعادته، وتعرف هذا الآن. وتعرف كذلك، أنه لا يزال يجدها مرغوبة. لكن الرغبة ليست حباً.. وقال هذا بصراحة.

ذلك الصباح، نزل السلم دون مساعدة.. إذن حان وقت ذهابها بينما هي قادرة على الذهاب بوقار وكرامة.

رتبت ثيابها بهدوء، ثم نزلت تفتش عنه، لتجده في المطبخ.

قالت له بهدوء: «علي الذهاب.. وكلانا يعرف الرد على سؤالك الآن.. ويجب أن يتم الطلاق بسهولة كافية و..».

قال دومنيك: «الطلاق؟ أي طلاق؟ أنت تحملين طفلي آني.. وليس هناك طريقة تجعلني.. لا نستطيع الطلاق الآن».

شحب وجه آني.. في أعماقها كانت تخشى أن تكون ردة فعله هكذا. لكنها أقنعت نفسها أنها قوية لتقاوم إغراءه.

قال بلطف أكبر: «اسمعي.. أمامنا بناء جسر لحياتنا.. وأعرف أنك تحتاجين إلى وقت لأن الثقة ليست شيئاً ينمو بين ليلة وضحاها. ولكننا سننجح».

أحست آني بأنها ترتجف في أعماقها، لتأثير محاولتها التمسك بالواقع. محاولة تذكير نفسها بما هي الحقيقة. وواقع أنه

لم يعد يحبها، بينما هي..

من مكان ما، تمكنت من استحضار قوة الإرادة اللازمة.

ـ أدرك أنك تتكلم من إحساس مضلل بالمسؤولية و.. والواجب دومنيك.. لكن..

ـ لم تكن المسؤولية هي التي جعلتني أريدك في فراشي تلك الليلة.. وسامحيني إذا كنت فظاً، لأنني لا أعتقد أن الواجب هو الذي أبقاك معي.

شهقت ساخطة: «هذا غير منصف.. ما حدث بيننا كان.. كان..».

شجعها أن تكمل: «كان ماذا؟ أم علي أن أخبرك ما كان؟».

ثم تابع بهمس مثير: «ما حدث هو ما صممته الطبيعة لنا ليحدث.. ما حدث كان..».

وتوترت بينما انخفض صوته أكثر: «أنا لم أتوقف يوماً عن حبك.. ولا أظن أنك توقفت عن حبي.. ربما نسيتني في وعيك، دفعتني إلى مؤخرة دماغك.. لكن في أعماقك، لم تستطيعي نسياني.. في أعماقنا حبنا لم ينطفىء. نحن مدينان لهذا الطفل وعلينا أن نعطي أنفسنا فرصة أخرى آني».

هزت رأسها نفياً على الفور: «لا».

وصمت دومنيك للحظة، ثم، وهي تظن أنه سيتقبل إنكارها له ويستدير عنها، أمسك وجهها بين يديه وقال بلطف جعل قلبها ينقلب رأساً على عقب: «أتعرفين ما أظنه؟ أظن أنك خائفة من أن..».

أنكرت بسرعة: «لست خائفة من شيء.. أستطيع تدبير أمري

بنفسي، وأنا لا أحتاج..».

قاطعها بهدوء: «.. لي.. ربما لا تحتاجين لي.. لكن هذا..».

ولامس بطنها بلطف: «ابننا أو ابنتنا يحتاجان آني.. كلانا يعرف كيف يمكن أن يكبر الطفل لوحده معزولاً، فهو يشعر بأنه مختلف أو غير محبوب..».

ردت بإصرار: «طفلي سيكون محبوباً.. فأنا سأحبه.. ولا يمكنك إجباري على البقاء هنا دومنيك».

وهو يتفحص وجهها، استدارت بعيداً عنه، فقد كان على حق حين اتهمها بالخوف.. فكيف يمكن أن تخاطر وتصدقه؟

قال متثاقلاً وهو يتركها: «لا.. لا أستطيع إجبارك على البقاء..».

وماذا كانت تتوقع؟ ماذا أرادت؟ أن يتمسك بها جسدياً؟

دون أن تنظر إليه استدارت حول باب المطبخ وركضت إلى الردهة، حيث تركت أغراضها.

لقد قال لها: «أنا لم أتوقف عن حبك» لكن كيف يمكن أن تصدقه؟ وقد يكون فقط لحماية الطفل؟.

كان باب مكتبته مفتوحاً.. وبتهور سارت على أطراف أصابع قدميها إلى الداخل. كانت الغرفة فارغة، والستائر تتطاير في الهواء، وطارت ورقة على الأرض.. فانحنت لتلتقطها، ثم جمدت وهي تعيدها إلى المنضدة. فهي صورة عمرها خمس سنوات. كانت لها ولدومنيك يوم عرسهما، وملأت الدموع عينيها، وارتجفت أصابعها وهي تضغطها على الزجاج البارد.

كانت سعيدة جداً ذلك اليوم، مفعمة بالفرح والحب. فقد كان دومنيك، حبيبها المتكامل وبطل أحلامها.. لكنه أكبر سناً الآن بخمس سنوات، وشخص مختلف. كلاهما أصبحا مختلفين.. ربما من الخارج، لكن من الداخل.. مشاعرهما.. وحبهما..

أحست بالألم يتلوى داخلها.. لكنها لو استسلمت لدومنيك الآن.. كيف يمكن أن تعرف إذا كان يريدها حقاً؟

بسرعة، أعادت الصورة إلى مكانها، ثم أغلقت النافذة قبل أن تعود إلى الردهة وتلتقط حقائبها.

كانت مفاتيحها في يد والحقائب في اليد الأخرى، حين فتحت الباب الأمامي ونظرت إلى سيارتها.

دومنيك! ماذا بحق السماء..؟ ابتلعت بشدة ثم رفرفت عينيها. كان دومنيك يقف إلى جانب سيارتها وحقيبة ثقيلة عند قدميه.

- إذا كنت لا تريدين العيش معي.. فسأضطر إلى أن أعيش معك.. سأذهب حيث تذهبين. لن نفترق عن بعضنا، ولن تختفي مرة أخرى.

احتجت آني: «لا تستطيع فعل هذا.. أنت لا تريدني.. السبب فقط هو الطفل..».

سألها بأدب: «حقاً؟ هل هذا ما تعتقدين؟».

كان سؤاله مهذباً وهادئاً مما أجفلها. ترك حقيبته وتقدم نحوها، وهو يقول بصوت منخفض ناعم: «حسن.. أنا مضطر لأبرهن لك كم أنت مخطئة.. أليس كذلك؟».

أحست أن الوقت تأخر لتستدير وتهرب.

- دومنيك.. لا.. لا يجب أن تفعل هذا.. ساقك..

لكن رفضها ضاع على قميصه الناعم وهو يرفعها بين ذراعيه ويعود إلى المنزل ويصعد السلم بها.

همس بنعومة وهو يلقيها على السرير: «في هذه الغرفة، وفي هذا الفراش، كنا معاً كما يكون العشاق.. في هذا الفراش أريتك كم أحبك آني. وهنا كذلك، أظهرت لي حبك.. وقلت لي عنه».

احتجت بحدة: «كان هذا منذ خمس سنوات. و..».

- لا.. أنا لا أعني يومها.. لقد حملت بطفلنا في هذا الفراش.. ليلة قلتِ لي إنني حبيب أحلامك.. ليلة قلتِ لي كم..

احتجت بضعف: «لا..!».

وغطت أذنيها بينما اشتعل وجهها خجلاً.

استغل دومنيك انشغال يديها لتحيط يداه بوجهها وينظر إلى عينيها وهو يقول بإصرار: «أجل.. لكل منا ذكريات تعيسة.. مخاوف وشكوك. لكن ما نشعر به يتغلب على كل شيء.. أعطني نفسك الآن.. ثم أخبريني، إذا كنت تجرؤين، أنك لا تحبيني أو أنك لا تشعرين بحبي لك، وأن لا مستقبل لنا معاً».

توسلت آني إليه متألمة: «أرجوك، لا تفعل هذا.. لا أريد..».

- لا تريدين ماذا؟

وتأوهت من بين أنفاسها، وبدأت مقاومتها تذوب.. أحست

بحرارة مشاعرها تمر عبر شرايينها.

تابع دومنيك: «أنت لا تريديني؟ أم هذا..؟».

كان يعانقها ويداه تتلمسان بشرتها.. وأدركت آني أن هذا هو قدرها.

قالت له ساخطة: «أنت ساحر.. مشعوذ».

وكان صوتها ضبابياً مثل عينيها، مفعماً بالأحاسيس. واسترخى جسمها بتكاسل من جراء حبها وشوقها.

قال بحرارة: «بل أنا رجلك.. وأنت امرأتي.. آني.. حبي، وحبي الوحيد..».

أحست به يرتجف ثم يكمل: «أحبك كثيراً.. وأرجوك، أرجوك، أحبيني في المقابل.. أنت حياتي، حبي، ماضيي وحاضري ومستقبلي. من دونك..».

ولم تستطع مقاومة إغواء أن تتحرك إليه، وأن تلف ذراعيها حوله لتأسره.. وأحست بموجات سعادة تجتاحها، وعرفت أنه يتعمد الملاطفة بسبب الطفل.. طفلهما.

حين بدأت تبكي، لعق لها دموعها يواسيها بقوله إنها ببكائها تتخلص من ألمها.. وفجأة عرفت أن هذا صحيح.. فهي تكاد تشعر بمد مشاعرها ينحسر، وبعودة السعادة والحب ليغمرا جسمها. عشاق الأحلام رائعون على طريقتهم.. لكن هذا حقيقي.. والحقيقة كانت.. كانت..

شجعها دومنيك وقد أدرك أنها تحاول قول شيء: «همم..؟».

تنهدت: «أحبك».

لكن بالنسبة لدومنيك كانت الكلمة البسيطة أقوى بكثير من كلمات الحب التي كتبت يوماً.

***

الخاتمة

الواقع أجمل

سألت هيلينا بفضول وهي تراقب آني تكتب الدعوات بمناسبة عمادة ابنتها البالغة ستة أشهر: «ولماذا حرف الألف؟».

ردت آني بابتسامة ممازحة: «إنه لفقدان الذاكرة، كي تتذكر كيف حملت بها».

احتجت هيلينا: «أوه.. لا.. أنت بالتأكيد لن..؟».

وصمتت لرؤيتها هزة الرأس الضاحكة التي كانت آني تعطيها لزوجها.

كانت هيلينا وبوب يزورانهما لمناقشة ترتيبات حفلة العماد.. وكان بوب قد حذر هيلينا: «يجب أن نتصل بهما أولاً. أنت تعرفين ما حدث في آخر مرة زرناهما دون أن يتوقعانا.. وكان من الواضح أننا قاطعناهما وسط.. تغازلهما».

ـ أجل.. لكن هذا كان منذ أربعة أشهر.

ـ لا يهمني. ما عليك سوى رؤيتهما لتعرفي أن من المستحيل عليهما إبعاد أيديهما عن بعضهما.

وذكرته هيلينا: «إنهما يعوضان ما فاتهما».

www.elromancia.com

لكنها لم تكن قد رأت زوجين محبين مثلهما. وكانا متوهجين بالحب.. ولم تكن واثقة متى شاهدته أكثر فخراً.. يوم جددا قسمهما لبعضهما قبل ولادة شارلوت بشهر، أم أول مرة حمل فيها ابنته الوليدة حديثاً.

قالت آني: «حرف الألف لاسم أليس».

ونظرت إلى دومنيك بعناد.

ابتسمت هيلينا: «أليس.. أوه.. إنه اسم عمادتي».

قالت آني بمحبة: «أجل أعرف».

ووقفت لتتقدم وتعانق صديقتها وهي ترى احمرار وجه هيلينا، ولمعان عينيها بالدموع.

واحتجت حين أخبرتها آني بخطتها: «أنا كبيرة جداً في السن لأكون عرّابتها».

لكن آني ودومنيك صرفا النظر عن معارضتها..

قالت بعد أن سيطرت مجدداً على عواطفها: «اسم شارلوت أليس يبدو جميلاً».

لكن دومنيك قال: «شارلوت «فقدان الذاكرة» يبدو أجمل.. ونحن لم ننس بعد..».

قالت آني لصديقتها: «تجاهليه».

والتقطت وسادة صغيرة رمته بها.

وهو يلتقطها سمعته هيلينا يهمس لآني: «ستدفعين ثمن هذا.. فيما بعد».

كان الظلام يهبط حين غادرت هيلينا وبوب. وهي تستدير في مقعد السيارة لتأخذ حزام الأمان وبوب يقود السيارة إلى خارج

الطريق الداخلية، رأت هيلينا الضوء في إحدى غرف النوم في الطابق الأعلى يشتعل.. وعرفت أن هذا هو ضوء غرفة نوم آني ودومنيك.

وبخت آني زوجها وهو يرميها إلى السرير: «بحق السماء دومنيك».

ـ أنت ترتدين الكثير من الملابس.. أتعرفين هذا؟

ـ لا بد أن هيلينا وبوب شاهدا الضوء وسيعرفان.

سألها هامساً: «سيعرفان ماذا؟ أنني لا أستطيع الانتظار لأخلو بك؟».

وضحك لرؤيته احمرار وجه آني، وأكمل ممازحاً: «ثم، ألست أنت القائلة قبل مغادرتهما إنك ترغبين في نوم ليلة مبكرة؟».

وافقت آني: «ليلة مبكرة، وليس.. أوه..».

شهقت لملامسته لها، ثم مرة أخرى قبل أن تحتج بشوق: «دومنيك..».

شجعها: «همم..؟».

قالت بصوت متهدج: «فقدان الذاكرة.. مسكينة هيلينا، ما كان يجب أن تمازحها.. ما كان يجب..».

وتلاشى صوتها إلى تنهيدة خافتة لأنثى سعيدة مع تزايد جرأة لمساته الحميمة.

في المهد، في غرفة الأطفال، ابتسمت الفتاة الصغيرة، الذي سيكون اسمها السري دائماً «فقدان الذاكرة» للصور المتأرجحة الراقصة فوق رأسها.

تنهدت آني بإثارة: «لا عجب أنني لم أستطع أن أنساك».

قال دومنيك: «عاشق أحلامك».

أكدت له بمحبة: «الواقع هو أفضل بكثير من أحلامي.. الواقع.. هو أنت دومنيك.. أنت وشارلوت أليس وحياتنا معاً.. مستقبلنا معاً.. الواقع هو.. أوه.. دومنيك».

***

www.elromancia.com
مـرمـوريـة